الدروس والمواعظ

من حياة علي رضي الله عنه

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٢٢٥٧٨٨٢

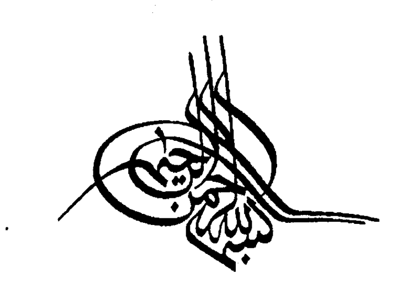
سلسلة الدعوة والدعاة

الدروس والمواعظ من حياة على رضى الله عنه

المؤلف

محمد عبده

مكتبة الإيمان - المنصورة



المقدمة

المقدمة

الحمد لله على نعمة الإسلام ، وحلاوة الإيمان، وعظمة القرآن ، الحمد لله على كلمة التوحيد ، الحمد لله على شارحة الصدور والمنجية، من عذاب القبور ، والفوز بها ، يوم الحشر والنشور ، هيا بنا جميعًا نقولها بإخلاص لا إله إلا الله ، فبلا إله إلا الله أحيا بها وحدى، وبلا إله إلا الله ألقى بها ربى، وبلا إله إلا الله يمحى بها ذنبى، وبلا إله إلا الله أنجو بها فى قبرى.

أعددت لله حين ألقاه ... أشهد أن لا إله إلا الله
أقولها للإله خالصة ... يرحمنى فى القيامة الله
لعل يوم الحساب أنج بها ... يوم العقوبة زاد بلواه
يوم يفوز على الأشهاد قائلها ... ويخسر الجاجدون نعماه
فهى لدار الخلود قائده ... ومن عصى فالجحيم مأواه
من قالها للإله مخلصة ... فهو الذى قد أتاه تقواه
وهو الذى فى الخلد مسكنه ... الله قد خصه فيها وأرضاه
قد فاز عبد يكون ذاكرها ... بدار عدن جوار مولاه
يحظى بدار الخلود قائلها ... طوبى لمن قالها وطوباه
من كان عند الممات قائلها ... فاز بدنياه وأخراه

فاحينى ياربى وأمتنى على كلمة التوحيد .

والصلاة والسلام على الرحمة المهداه للعبيد ، سيد الخلق النور المديد.

صلوا على نور تزايد فخره يعلو على الأنوار والألباب
محمد زين الخلق شرقا ومغربا وخير شفيع ناطق بصواب
وخير حبيب للإله نبينا وخير رسول عامل بكتاب
أتى الخلق والأصنام تعبد جهرة وبوأهم إبليس شر مآب
فأنقذ بالنور البهى عباده وبوأهم بالدين حسن مآب
فصلو على خير الخلائق كلهم لتستوجبوا يا قوم خير ثواب

فاللهم صلى وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

ثم أما بعد :

فقد وفقتا العلى الجبار ، على إنهاء الثلاثة كتب السابقة فى الدروس والمواعظ الخاصة بأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم جميعًا وها نحن ذا فى الدروس والمواعظ للإمام النجيب صاحب العقل الرشيد والفكر السديد واللسان الذاكر ليوم الوعيد ، وافر العلم ، عظيم الحلم، سيد القوم ، قاهر أعداءه ، وكاظم غيظه ، ونجيب دهره ، وفقيه عصره ، صاحب العبارات الذكيه ، والسيرة الندية ، والأفعال السنيه، سيدنا وسيد أباءنا وأجدادنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأدام ذكره وجعل لنا النفع بسيرته والسير على منهاجه فهو من أسلم قبل الناس وجاهد بإخلاص فياليت فى القوم عليا بل ياليت القوم كلهم عليا، لتعلوا راية الدين ويُمحَق الكافرين ويموت الكائدين المعتدين

وينحسر من هم للدين حاقدين حاسدين .

وسوف نتناول فى هذا الكتاب المتواضع بعضًا من دروسه وبعضا من مواعظه فقد كان الإمام على رضى الله عنه بليغ اللسان، شديد الذكر بلا تقصير ولا نسيان ، فعقله ممتلأ بالتفكير فى الحنان المنان وقلبه ينبض بالإيمان ، فكيف نستطيع أن نحصى لهذا الإمام كل ما قال من دروس ومواعظ يا أهل الإحسان والإيمان ؟ لذا فقد قلت سنذكر بعضا من الدروس المستفادة من حياته وبعضا من مواعظة ولو أردنا حصرها لاحتجنا إلى مجلدات . ولكن عسى أن يكون بهذا الكتاب المتواضع أجمل ما قيل وأجمل ما حدث وأسأل الله النفع والعلم والعمل لى ولكم فكلام قليل مع العلم والعمل خير من جمع كثير بغير علم أو عمل، وحتي لا أطيل عليكم فهيا بنا ننعم بالحديث عن هذا العملاق صاحب البصمة الخالدة على كتب التاريخ والسير ، وصاحب المعروف على كتب المواعظ والعبر ، وصاحب الفضل على كتب الدروس والخبر، هيا بنا ننعم بالحديث عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه ونسأل من الله أن يوفقنا ويرزقنا العلم والعمل اللهم آمين.

المؤلف

محمد عبده

الفصل الأول

الجهاد والعلم وتعريف الإمام

الفصل الأول
الجهاد والعلم؟ تعريف الإمام

كان لكل خليفة من الخلفاء الراشدين بصمة قوية فى ميدان خاص به، فقد كان للصديق ﷺ بصمة عظيمة فى ميدان الموعظة لذا بدأنا الفصل الأول فى الكتاب الخاص بالصديق بتعريف الموعظة ولقد كان لعمر بن الخطاب ﷺ البصمة العظيمة فى زهده وإعراضه عن الدنيا فهو « من أرادته الدنيا ولكنه لم يريدها » فبدأت بتعريف ترك الدنيا وعثمان بن عفان ﷺ اشتهر بالصدقة فبدأنا كتابه بتعريف الصدقة وفضلها أما هنا فعلى بن أبى طالب ﷺ سنبدأ معه بتعريف الجهاد لأنه اشتهر بهذا فهو صاحب سيف لا يقهر هو قاتل عمرو بن ود والنائم فى سرير المصطفى ﷺ يوم الهجره والذى قال فى حقه معاوية بن أبى سفيان ﷺ « ألم تعلم أن على لم يهزم فى مبارزة قط » .

ولكن فى هذا الكتاب سنزيد تعريفًا آخر إن شاء الله .

وذلك لأن هذا العملاق كما برع في المبارزة برع فى ميدان العلم وصدق من قال فى حقه هو « سيد الفقهاء ، وتاج الأمراء » فكان يجيد المبارزة وهى صفة تلحق بالإمراء ، كما أنه يجيد الفتوى وهى صفة تلحق بالفقهاء وحتى لا نطيل فهيا بنا سويًا نبدأ بالتعريف .

تعريف الجهاد :

يقول العلامة ابن منظور :

(جاهَدَ العدو مجاهَدة وجِهادًا : قاتله وجاهد فى سبيل الله) .

وفى الحديث : « **لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّةٌ** » .

الجهاد محاربة الأعداء ، وهو المبالغة واستفراغ ما فى الوسع والطاقة من قول أو فعل ، والمراد بالنية إخلاص العمل لله أى أنه لم يبق بعد فتح مكة هجرة لأنها قد صارت دار إسلام ، وإنما هو الإخلاص فى الجهاد وقتال الكفار .

والجهاد : المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شىء . وفى حديث الحسن ، لا يَجْهَدُ الرجلُ مالَهُ ثم يقعد يسأل الناس ، قال النضر : قوله لا يجهد ماله أى يعطيه ويفرقه جميعه هاهنا وههنا، قال الحسن ذلك فى قوله عز وجل : ﴿ **يسألونك ماذا ينفقون قل العفو** ﴾ [1] .

فضل الجهاد :

سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية قدس الله روحه .

عن الحديث وهو : « حرس ليلة على ساحل البحر أفضل من عمل رجل فى أهله ألف سنة » وعن سكنى مكة وبيت المقدس والمدينة المنورة على نيه العبادة والانقطاع إلى الله تعالى: والسكن بدمياط واسكندرية

(١) لسان العرب لابن منظور : ١/ ٥٢١.

وطرابلس على نية الرباط : أيهم أفضل ؟

فأجاب :

الحمد لله ، بل المقام فى ثغور المسلمين كالثغور الشامية والمصرية أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة ، وما أعلم فى هذا نزاعًا بين أهل العلم ، وقد نص علي ذلك غير واحد من الأئمة ؟ وذلك لأن الرباط من جنس الجهاد ، والمجاورة غايتها أن تكون من جنس الحج كما قال تعالى : ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن أمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون** ﴾ .

وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه سئل : أى الأعمال أفضل ؟

قال : « إيمان بالله ورسوله » .

قيل : ثم ماذا ؟

قال: « ثم جهاد فى سبيله » .

قيل : ثم ماذا ؟

قال: « حج مبرور » .

وقد روى : « غزوة فى سبيل الله أفضل من سبعين حجة » وقد روى مسلم فى صحيحه عن سلمان الفارسى : أن النبى ﷺ قال: «رباط يوم وليلة فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطًا مات مجاهدًا ، وأجرى عليه رزقه من الجنة ، وأمن الفتان».

وفى السنن عن عثمان عن النبى ﷺ أنه قال: « رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل » وهذا قاله عثمان على منبر

رسول الله ﷺ ، وذكر أنه قال لهم ذلك تبليغًا للسنة .

وقال أبو هريرة : لأن أرابط ليلة فى سبيل الله أحب إلى من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود .

هذا هو فضل الحراسة والمراقبة فما بالكم بفضل الجهاد نفسه ، فضل الجهاد ما قاله العلامة ابن تيمية تكملة للكلام السابق .

وفى السنن عنه ﷺ أنه قال: « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعة يحتسب فى صنعته الخير ، والرامى به ، والممد به ».

وهذا لأن هذه الأعمال هى أعمال الجهاد ، والجهاد أفضل ما تطوع به الإنسان ، وتطوعه أفضل من تطوع الحج وغيره كما قال تعالى: **﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن أمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ؟ لا يستوون عند الله ! والله لا يهدى القوم الظالمين الذين أمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدًا ؛ إن الله عنده أجر عظيم ﴾** وفى الصحيح أن رجلا قال : لا أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد ! فقال على بن أبى طالب : الجهاد فى سبيل الله أفضل من هذا كله» (٢) .

ضربة نجلاء :

بعد أن ذكرنا تعريف الجهاد وفضله ، نقول وبالله التوفيق ، أن

---

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : ٢٨/٥ ـ ٣٠ .

صاحب الشجاعة والضربة النجلاء فى الجهاد ، هو الإمام على بن أبى طالب ﷺ ، ومعنى الضربة النجلاء « أى الواسعة » واسمحوا لى أن أسوق لكم ما قيل على الإمام في أمر شجاعته وجهاده .

يقول الإمام الكاندهلوى رحمه الله :

أخرج البزار عن جابر ﷺ قال: دخل علىٌّ عَلَى فاطمة ﷺ يوم أحد فقال :

أفاطم هـاك السيـف غيـر ذميـم ... فلست برعـديد ولا بلئيـم
لعمرى لقد أبليتُ فى نصر أحمدٍ ... ومرضاة ربّ بالعباد عليـم

وعند الطبرانى عن ابن عباس ﷺ قال : دخل على بن أبى طالب ﷺ علي فاطمة ﷺ يوم أحُد فقال : « خُذِى هذا السيف غير ذميم » فقال النبى ﷺ : « **لئن كنت أحسنت القتال لقد أحسنة سهل بن حنيف، وأبو دجانة سماكُ بن خرشة** » .

وله أيضا صولات وجولات نضعها تحت عنوان .

*** لا أكره أن أهريق دمك :**

أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة وعبد الله عن كعب بن مالك الأنصارى ﷺ قالا : لما كان يوم الخندق خرج عمرو بن عبد وُدٌ معلمًا ليرى مشهده . فلما وقف هو وخيله قال له على : يا عمرو ، إنك قد كانت تعاهدُ الله لقريش ، ألا يُدْعُوكَ رجل إلى خَلَّتَيْنِ إلا اخترت إحداهما .

قال : أجل

قال : فإنى أدعوك إلى المبارزة .

قال عمرو بن ود : لم يابن أخى ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك.

قال على ﷺ : ولكنى والله أحبُّ أن أقتلك .

فحمى عمرو عن ذلك ، وأقبل إلى على ﷺ فتنازلا فتجاولا ، فقتله على ﷺ .

ومن طريق البيهقى عن ابن إسحاق قال : خرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد ، فنادى : من يبارز ، فقام على بن أبى طالب ﷺ فقال: أنا لها يانبى الله ﷺ ، فقال : « إنه عمرو اجلس » ثم نادى عمرو : ألا رجلٌ يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التى تزعمون أنه من قُتِلَ منكم دخلها ؟ أفلا تُبرزون إلى رجلا ؟ فقام على ﷺ فقال : أنا يا رسول الله ﷺ ، فقال : « اجلس » ثم نادى الثالثة. فقال : فذكر شعره ، قال فقام علىّ ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ «أنا» . فقال : « إنه عمرو » فقال : وإن كان عمرًا .

فأذن له رسول الله ﷺ ، فمشى إليه حتى أتى وهو يقول :

لا تعجلنَّ فقد أتـــاك	مجيب صوتك غير عاجـزْ
فـــى نيـــة وبصيـــرة	والصدق منجى كل فائـــز
إنى لأرجو أن أقيـــم	عليـــك نائحـــة الجنائـــــز
مـــن ضربـــة نجـــلاء	يبقى ذكرها عند الهزاهـــز

فقال له عمر : من أنت ؟

قال : أنا على .

قال : ابن عبد مناف ؟

قال : أنا على بن أبى طالب .

فقال : يا ابن أخى ، من أعمامك من هو أسنُّ منك ، فإنى أكره أن أهريق دمك .

فقال له على ﷺ : لكننى ، والله لا أكره أن أهريق دمك فغضب فنزل ، وسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو على ﷺ مغضبًا ، واستقبله على بدرقته ، فضربه عمرو فى درقته فقدَّها « قطعها » وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه . وضربه علىٌّ ﷺ على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج « الغبار » وسمع رسول الله ﷺ ، فعرفنا أن عليا رضى قد قتله ، فثمَّ يقول علىٌّ :

أعَلَىَّ تقتحم الفوارس هكذا ... عنى وعنهم أخروا أصحابى

اليوم يمنعنى الفرار حفيظتى ... ومصمم فى الرأس ليس بنابى

إلى أن قال:

نَصر الحجارة مــن سفاهــة رأيــه ... ونَصرتُ ربَّ محمد بصـــواب

فصدرت [٣] حين تركته متجولا [٤] ... كالجذع بين دكــادك [٥] وروابــى

وعففت عـن أثوابــه ولــو أنــنى ... كنــت المقطرَ [٦] بَزَّنى أثوابــى

(٣) فصدرت : أى فرجعت .

(٤) متجدلا : ساقطا على الأرض.

(٥) دكادك : جمع دكداك ، وهو الرمل اللين .

(٦) المقطر : الساقط .

لا تحسـبن الله خـاذلَ دِينـه ونبيـه يـا معشـر الأحـزاب

قال : ثم أقبل على ﷺ نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل فقال له عمر بن الخطاب ﷺ هلا استلبته درعه ؟ فإنه ليس للعرب درع خير منها .

قال : ضربته فاتقانى بسوأته ، فاستحييت ابن عمى أن أسلبه [٧] .

ﷺ الله عنك يا على سيفك داوى رؤوس الظالمين بقلعها ، وحياءك يتحاكاه أهل الرقى ، ونكمل شجاعته وجهاده تحت عنوان .

سمتني أمي حيدره :

هذا العنوان هو جزء من شعر الإمام على بن أبى طالب ﷺ فى قتال خيبر واسمحوا لى أن أسوق لكم القصة :

يقول العلامة ابن كثير :

روى مسلم والبيهقى واللفظ له ، من طريق عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه ، فذكر حديثا طويلا وذكر فيه رجوعهم عن غزوة بنى فزارة . قال: فلم نمكث إلا ثلاثًا حتي خرجنا إلي خيبر قال : وخرج عامر فجعل يقول :

والله لولا أنت ما اهتدينـا ولا تصدقنا ولا صلينا

ونحن من فضلك ما استغنينا فأنزلـن سكينة علينـا

وثبت الأقدام إن لاقينا

---

(٧) حياة الصحابة : ٢/ ٤ ـ ٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير : ٣/ ٢٠٢ ـ ٢٠٥ .

قال : فقال رسول الله ﷺ : من هذا القائل ؟ ، فقالوا : عامر. فقال : غفر لك ربك . قال : وما خص رسول الله ﷺ قط أحدًا به - إلا استُشهد .

فقال عمر وهو علي جمل : لولا متعتنا بعامر !

قال : فقدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول :

قد علمت خيبرُ أنى مَرْحَبُ   شاكى السلاح بطلٌ مجربُ

إذا الحروبُ أقبلت تَلَهَّبُ

قال : فبرز له عامر ﷺ وهو يقول :

قد علمت خيبرُ أنـى عامرُ   شاكى السلاح بطلٌ مغامرُ

قال : فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب فى حُرس عامر فذهب يسعل له ، فرجع على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه . قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : بطل عملُ عامر قتل نفسه !

قال : فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى فقال: مالك ؟ فقلت : قالوا: إن عامرًا بطل عملُه . فقال : من قال ذلك ؟ فقلت : نفر من أصحابك . فقال: كذب أولئك ، بل له الأجر مرتين .

قال : وأرسل رسول الله ﷺ إلى على ﷺ يدعوه وهو أرمد وقال: لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله . قال: فجئت به أقوده. قال: فبصق رسول الله ﷺ فى عينه فبرأ ، فأعطاه الراية .

فبرز مرحب وهو يقول :

قد علمت خيبرُ أنى مَرْحَبُ شاكى السلاح بطلٌ مجربُ

إذا الحروبُ أقبلت تَلَهَّبُ

قال : فبرز له على وهو يقول :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره كليث غاباتٍ كريه المَنْظره

أوفيهم بالصاع كيلَ السَّنْدَره

قال : فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح (٨) .

فرضى الله عنك يا صاحب الحسام ، يا فاصل رأس اللئام ، ونكتفى بهذا القدر من تعريف فضل الجهاد ما ذكر عن الإمام على ﷺ فى هذا الأمر ، ولننتقل سويا إلى ميدان آخر وهو تعريف العلم وفضله وما للإمام فيه من قدر .

تعريف العلم :

يقول العلامة ابن منظور :

والعِلْمُ : نقيضُ الجهل ، عَلِم عِلمًا وعَلُمَ هو نَفْسهُ ، ورجل عالمُ وعَلِيمٌ من قومٍ عُلماءَ فيهما جميعًا .

قال سيبويه : يقول عُلَماء من لا يقول إلا عالِمًا .

قال ابن جنى : لما كان العِلْم قد يكون الوصف به بعد المُزاوَلة له وطُولِ المُلابسةِ صار كأنه غريزةٌ ، ولم يكن على أول دخوله فيه ، ولو

---

(٨) السيرة النبوية لابن كثير : ٣/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

كان كذلك لكان مُتعلمًا لا عالِمًا ، فلما خرج بالغريزة إلى باب فَعُل صار عالِمٌ فى المغنى كعَلِيم ، فكسر تكسيره ، ثم حملوا عليه ضدَّه فقالوا جُهَلاء كعُلَماء ، وصار عُلَماء كَحُلماء لأن العلمَ مَحْلَمةٌ لصاحبه ، وعلى ذلك جاء عنهم فاحشٌ وفُحَشاء لَما كان الفُحْشُ من ضروب الجهل ونقيضًا للحِلم ، قال ابن برى : وجمعُ عالِمٍ عُلماءُ ، ويقال عُلام أيضًا ، قال يزيد بن الحكم :

ومُسْتَرِقُ القَصائد والمُضاهى سواءٌ عند عُـلام والرجالِ

وعَلامٌ وعَلامةٌ ، إذا بالغت فى وصفه بالعلم أى عالم جدا، والهاء للمبالغة ، كأنهم يريدون داهية من قوم عَلامين ، وعُلام من قوم عُلامين ، هذه عن اللحيانى .

وعَلِمْتُ الشىء أَعْلَمهُ عِلْمًا : عَرَفْتُه . قال ابن برى : وتقول عَلِمَ وفَقِه أى تَعَلم وتفقه ، وعَلُم وفَقُه أى سادَ العلماء والفقهاء [٩] .

وإلى هنا ينتهى كلام العلامة ابن منظور وعندما نتحدث عن الإمام على بن أبى طالب ﷺ فإننا نتكلم عن « عَلُم وفَقُه » أى ساد العلماء، فهو بحق سيد علماء عصره .

فضل العلم :

يقول العلامة الماوردى :

اعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب . وأفضل ما طلب وجدّ فيه الطالب وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، لأن شرفه يثمر على

---

(٩) لسان العرب لابن منظور : ٤/ ٨٧٠ .

صاحبه، وفضله ينمى على طالبه . قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (١٠) فمنع المساواة بين العالم والجاهل لما قد خص به العالم من فضيلة العلم . وقال تعالى : ﴿ **وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ** (٤٣) ﴾ (١١) فنفى أن يكون غير العالم يـعقل عنه أمرًا ، أو يفهم منه زجرًا .

وروى عن النبى ﷺ ، أنه قال : أوحى إلى إبراهيم عليه السلام ، أنى عليم أحب كل عليم . وروى أبو أمامة قال : سئل رسول الله ﷺ ، عن رجلين أحدهما عالم والآخر عابد ، فقال ﷺ « **فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم رجلا** » . وقال على بن أبى طالب ؓ : الناس أبناء ما يحسنون . وقال مصعب بن الزبير تعلم العلم فإن يكن لك مال كان لك جمالاً وإن لم يكن لك مال كان لك مالا .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : يا بنى تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم ، وإن كنتم وسطًا سدتم ، وإن كنتم سوقة عشتم.

وقال بعض الحكماء : العلم شرف لا قدر له ، والأدب مال لا خوف عليه .

وقال بعض البلغاء : تعلم العلم فإنه يقومك ويسددك صغيرًا ، ويقدمك ويسودك كبيرًا ويصلح زيغك وفاسدك ، ويرغم عدوك وحاسدك، ويقوم عوجك وميلك ويصحح همتك وأملك .

وقال على ؓ : قيمة كل امرئ ما يحسن . فأخذه الخليل فنظمه

---

(١٠) سورة الزمر : آية ٩ . (١١) سورة العنكبوت : آية ٤٣ .

شعرًا فقال :

لا يكون العليُّ مثـــل الدنى لا ولا ذو الذكاء مثل الغبى
قيمة المرءِ قدر ما يحسن المرء قضاءُ من الإمـــام علـــى

وليس يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل لأن فضل العلم إنما يعرف بالعلم (١٢) .

* علمهم السنن :

نكتفى بحديث واحد فقط فى فضل على بن أبى طالب ﷺ وهو أخرج ابن جرير عن على ﷺ قال: أتى النبى ﷺ ناسٌ من اليمن فقالوا: ابعث فينا من يُفقِّهُنا فى الدين ويعلمنا السنن ويحكم فينا بكتاب الله ، فقال النبي ﷺ : « **انطلق يا على إلي أهل اليمن ففقههم في الدين وعلمهم السُّنَنَ واحْكُمْ فيهم بكتاب الله** » فقلت إن أهل اليمن طَغَامٌ (١٣) يأتون من القضاء بما لا علم لى به ، فضرب النبى ﷺ على صدرى ثم قال : « اذهب ! فإن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك » فما شككت فى قضاء بين اثنين حتى الساعة (١٤) .

والآن وبعد تعريف الجهاد والعلم والحديث عنهما جاء موعدنا مع تعريف الإمام ، فهيا بنا سويا نتعرف على الإمام على ﷺ من خلال ما كتب فى حقه عند أهل العلم والرأى وأصحاب كتب التاريخ والسير.

---

(١٢) أدب الدنيا والدين : ٤٢ ـ ٤٣ . (١٣) الطغام: من لا عقل له ولا معرفة .

(١٤) حياة الصحابة : ١٢/٤.

أولا : عند الإمام ابن جرير الطبري :

١ ـ نسبه : هو على بن أبى طالب ، واسم أبى طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

٢ ـ صفته : حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر عبد الله بن أبى سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة ، قال : سألت أبا جعفر محمد بن على ، قلت : ما كانت صفة على ﷺ ؟

قال : رجل آدم شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمهما ، ذو بطن ، أصلع ، هو إلى القصر أقرب .

٣ ـ يا غوثا بالله !

كان على ﷺ يسارع لتلبية نداء الحق، ولنا فى ذلك عدة شواهد، وأسوق إليكم هذه القصص ، برهانا قويا على كلامنا يقول العلامة ابن جرير :

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال: أخبرنا وهب ، قال : أخبرنى ابن أبى ذئب ، عن عباس بن الفضل مولى بنى هاشم ، عن أبيه عن جده ابن أبى رافع ، أنه كان خازنا لعلى ﷺ على بين المال، قال: فدخل يوما وقد زُينت ابنته ، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كان عرفها ، فقال: من أين لها هذه ؟ لله على أن أقطع يدها . قال: فلما رأيتُ جدّه فى ذلك قلت : أنا والله يا أمير المؤمنين زينت بها ابنة أخى ، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها ! فسكت .

وأيضا .

عن ناجية القرشى ، عن عمه يزيد بن عدى بن عثمان ، قال: رأيت عليًا ﷺ خارجًا من همدان ، فرأى فئتين يقتتلان ، ففرق بينهما، ثم مضى فسمع صوتًا .

يا غوثا بالله !

فخرج يُحضِر [١٥] نحوه حتى سمعت خفق نعله نعله وهو يقول : أتاك الغوث فإذا رجل يلازم رجلاً ، فقال: يا أمير المؤمنين ، بعتُ هذا ثوبًا بتسعة دراهم ، وشرطت عليه ألا يعطينى مغموزًا ولا مقطوعًا - وكان شرطهم يومئذ - فأتيته بهذه الدراهم ليبدلها لى فأبى ، فلزمته فلطمنى ، فقال: أبدله ، فقال: بينتَك على اللطمة ، فأتاه بالبينة ، فأقعده ثم قال : دونَك فاقتص ، فقال : إنى قد عفوت يا أمير المؤمنين، قال : إنما أردت أن أحتاط فى حقك ، ثم ضرب الرجل تسع درات ، وقال : هذا حق السلطان .

وأيضًا :

عن ناجية عن أبيه ، قال : كنا قيامًا على باب القصر ، إذ خرج على علينا فلما رأيناه تنحينا عن وجهه هيبة له ، فلما جاز صرنا خلفه فبينا هو كذلك إذ نادى رجل.

يا غوثا بالله !

فإذا رجلان يقتتلان ، فلكز صدر هذا وصدر هذا ، ثم قال لهما :

---

(١٥) يحضر : يسرع .

تنحيا ، فقال أحدهما : يا أمير المؤمنين ، إن هذا اشترى منى شاة ، وقد شرطت ألا يعطينى معموزًا ولا محذَّفًا ، فأعطانى درهمًا مغموزًا ، فرددته عليه فلطمنى ، فقال للآخر ، ما نقول ؟ قال : صدق يا أمير المؤمنين ، قال : فأعطه شرطه ، ثم قال للاطِم : اجلس ، وقال للملطوم : اقتص ، قال : أو أعفو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذاك إليك . قال : فلما جاز الرجل قال على : يا معشر المسلمين ، خذوه . قال : فأخذوه ، فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب ، ثم ضربه خمس عشرة درة ، ثم قال : هذا نكالٌ لما انتهكت من حرمته .

رحم الله عليا ﷺ كان سباقًا لا تأخذه فى الله لومة لائم وقد قال عنه ابنه .

جبريل عن يمينه :

يقول العلامة ابن جرير: حدثنى ابن سنان القزاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا سُكَين بن عبد العزيز ، قال : أخبرنا حفص بن خالد ، قال : حدثنى أبى خالد بن جابر قال سمعت الحسن يقول : لما قتل على ﷺ وقد قام خطيبًا فقال :

(لقد قتلتم الليلة رجلاً فى ليلة فيها نزل القرآن ، وفيها رفع عيسى ابن مريم عليه السلام ، وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام.

والله ما سبقه أحد كان قبله ، ولا يدركه أحد يكون بعده.

والله إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه فى السرية وجبريل عن يمينه ،

وميكائيل عن يساره ، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمائة ـ أو سبعمائة ـ أرصدها لخادمه) [١٦] .

ثانيا : عند العلامة ابن كثير :

نسبه : هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب واسمه شيبة بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصى واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو الحسن القرشى الهاشمى فهو ابن عم رسول الله ﷺ .

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

قال الزبير بن بكار : وهى أول هاشمية ولدت هاشميا .

وقد أسلمت وهاجرت وأبوه هو العم الشقيق الرفيق أبو طالب واسمه عبد مناف كذا نص الإمام أحمد بن حنبل هو وغير واحد من علماء النسب وأيام الناس .

أبا تراب :

فضائل الإمام على رضي الله عنه كثيرة ولكننا سننوه إلي شىء هام جدًا وهو أن تربية الإمام كانت في أحضان رسول الله ﷺ ومعنى هذا أنه يحمل شهادة غالية جدًا وهى «تربى فى بيت النبوة » وحتى لا أطيل عليكم فهيا بنا نقرأ ما قاله العلامة ابن كثير :

---

(١٦) (١٦) جميع ما ذكر فى كتاب العلامة ابن جرير (تاريخ الأمم والملوك) ٦/ ٦٩ ـ ٧٣ .

روى الترمذى والنسائى عن عمرو بن مرة عن طلحة بن زيد عن زيد بن أرقم قال : « أول من أسلم على » قال الترمذى حسن صحيح. وصحب على رسول الله ﷺ مدة مقامه بمكة وكان عنده فى المنزل وفى كفالته فى حياة أبيه لفقر حصل لأبيه فى بعض السنين مع كثرة العيال ، ثم استمر فى نفقة رسول الله ﷺ بعد ذلك إلى زمن الهجرة ، وقد خلفه رسول الله ﷺ ليؤدى ما كان عنده عليه السلام من ودائع الناس، فإنه كان يعرف فى قومه بالأمين فكانوا يودعونه الأموال والأشياء النفيسة ثم هاجر على بعد رسول الله ﷺ وصحب رسول الله ﷺ إلى أن توفى وهو راضى عنه وحضر معه مشاهده كلها وجرت له مواقف شريفه بين يديه فى مواطن الحروب ، كيوم بدر وأحد والأحزاب وخيبر وغيرها ، ولما استخلفه عام تبوك على أهله بالمدينة قال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى » وقد ذكر تزويجه فاطمة بنت رسول الله ودخوله بها بعد وقعة بدر . ولما رجع عليه السلام من حجة الوداع فكان بين مكة والمدينة بمكان يقال له غدير خم خطب الناس هنالك فى اليوم الثانى عشر من ذى الحجة فقال فى خطبته : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وفى بعض الروايات : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » والمحفوظ الأول ، وإنما كان سبب هذه الخطبة والتنبيه على فضله ما ذكره ابن إسحاق من أن عليًا لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن أميرًا هو وخالد بن الوليد ورجع على فوافى رسول الله ﷺ بمكة فى حجة الوداع وقد كثرت فيه المقالة وتكلم فيه بعض من كان معه بسبب

استرجاعه منهم خلعًا كان خلعها نائبه عليهم لما تعجل السير إلى رسول الله ﷺ فلما تفرغ رسول الله من حجة الوداع أحب أن يبرئ ساحة على مما نسب إليه من القول الذى لا أصل له ، وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيدا ، فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد فى أيام بنى أمية فى حدود الأربعمائة كما سننبه عليه إذا انتهينا إليه إن شاء الله . ثم بعد عشرين يوما تعلق المسوح على أبواب الدكاكين ويذر التبن والرماد ، وتدور الذرارى والنساء فى سكك البلد تنوح على الحسين بن على يوم عاشوراء صبيحة قراءتهم المصرع المكذوب فى قتله ، وسنبين الحق فى صفة قتله كيف وقع الأمر على الجلية إن شاء الله . وقد كان بعض بنى أمية يعيب عليا بتسميته [أبا تراب] وهذا الاسم إنما سماه به رسول الله ﷺ . كما ثبت فى الصحيحين عن سهل بن سعد أن عليا غاضب فاطمة فراح إلي المسجد فجاءه رسول الله فوجده نائما وقد لصق التراب بجلده فجعل ينفض عنه التراب ويقول : « اجلس أبا تراب ».

أين درعك الحطمية ؟!

لقد وضح الإمام ابن كثير مدى فضل وعظمة على بن أبى طالب رضي الله عنه عندما ساق زواج الإمام على رضي الله عنه على بنت رسول الله ﷺ ، واورد الأحاديث التى بينت مكانته . واستسمحكم فى نقلها بدون شرح فكلماتها غاية فى السهولة والوضوح وأرجو أن تعلمنا جميعًا مدى عظمة الإمام على رضي الله عنه .

يقول العلامة ابن كثير :

قال سفيان الثورى عن ابن أبى نجيح عن أبيه سمع رجل عليا على

منبر الكوفة يقول : « أردت أن أخطب إلى رسول الله ابنته ثم ذكرت أن لا شيء لى ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها . فقال : هل عندك شيء؟

قلت : لا ! ، قال : فأين درعك الحطمية التى أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ قلت : عندى ، قال : فأعطها فأعطيتها فزوجنى فلما كان ليلة دخلت عليها قال لا تحدثا شيئا حتى آتيكما ، قال: فأتانا وعلينا قطيفة أو كساء فتحشنا فقال مكانكما ، ثم دعا بقدح من ماء فدعا فيه ثم رشه على وعليها ، فقلت : يا رسول الله أنا أحب إليك أم هى؟

قال: «هى أحب إلى وأنت أعز على منها » .

أما ما جاء فى الأحاديث التى تبين مكانته عند رسول الله ﷺ فهو ما سنورده عليكم الآن وهى :

١ ـ قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا جعفر بن سليمان حدثنى يزيد الرشك عن مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ سرية وأمر عليها على بن أبى طالب فأحدث شيئا فى سفره فتعاقد أربعة من أصحاب محمد أن يذكروا أمره إلى رسول الله ﷺ قال عمران . وكنا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله فسلمنا عليه، قال: فدخلوا عليه فقام الثانى فقال : يا رسول الله إن عليًا فعل كذا وكذا فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال : يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا ثم قام الرابع فقال : يا رسول الله إن عليًا فعل كذا وكذا .

قال: فأقبل رسول الله على الرابع وقد تغير وجهه وقال: « دعوا عليا ، دعوا عليًا ، دعوا عليا ، إن عليًا منى وأنا منه وهو ولي كل

مؤمن بعدى » .

٢ ـ وعن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب وكانت عند أبى سعيد الخدرى ـ عن أبى سعيد الخدرى قالت: اشتكى عليا الناس فقام رسول الله فينا خطيبا فسمعته يقول :

« أيها الناس لا تشكو عليا فوالله إنه لأجيش فى ذات الله ـ أو في سبيل الله » .

٣ـ وعن عبد الله بن دينار الأسلمى عن خاله عمرو بن شاس الأسلمى ـ وكان من أصحاب الحديبية ـ قال: كنت مع على فى خيله التى بعثه فيها رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فجفانى على بعض الجفاء فوجدت عليه فى نفسى ، فلما قدمت المدينة اشتكيته فى مجالس المدينة وعند من لقيته فأقبلت يوما ورسول الله جالس فى المسجد فلما رآنى أنظر إلي عينيه نظر إلى حتى جلست إليه فلما جلست إليه قال: إما إنه والله يا عمرو لقد آذيتنى.

فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والإسلام أن أوذى رسول الله ﷺ .

فقال : « من آذى عليًا فقد آذانى » (١٧) .

واكتفى بهذا القدر من كلام العلامة ابن كثير ولننتقل سويا إن شاء الله إلى تعريف أمام آخر .

---

(١٧) ما ذكر عن ما قاله العلامة ابن كثير فى حق على بن أبى طالب فى البداية والنهاية ٧/ ٣١١ـ٣٢٨.

ثالثا عند العلامة الخضري :

نسبه : هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى القرشى ابن عم رسول الله ﷺ .

وأمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

مولده : ولد ؓ فى السنة الثانية والثلاثين من ميلاد رسول الله ﷺ فلما بعث محمد ﷺ كان دون البلوغ وكان مقيمًا معه فى منزله يطعمه ويسقيه ، لفاقه « فقر » لحقت بأبيه ، فاهتدى بهدى رسول الله ﷺ ، ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الأوثان وغيرها.

ولما هاجر عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة فداه على بنفسه ونام على فراشه ليظن المحاصرون أن رسول الله ﷺ لم يزل نائمًا فلا يتبعونه ، ثم لحقه بعد قليل .

مكانته :

شهد مع رسول الله ﷺ غزواته كلها إلا « غزوة تبوك » فإنه خلفه فى أهل بيته ، وقال له : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى » .

وكان له القدم الثابت فى جميع الغزوات ، فهو أول المبارزين يوم بدر وممن ثبت يوم أحد وحنين ، وعلى يديه فتحت خيبر .

وزوجه عليه الصلاة والسلام بنته فاطمة فى السنة الثانية من الهجرة فجاء منها : « بالحسن والحسين ، وزينب الكبرى ، وأم كلثوم الكبرى » وناب عن رسول الله ﷺ فى قراءة أوائل التوبة فى موسم الحج إيذانًا ببراءة الله ورسوله من المشركين .

ولما توفى رسول الله ﷺ وبويع أبو بكر بايعه عليٌ مع أنه كان يرى له حقا فى الخلافة لقرابته من رسول الله ﷺ ، ولكنه كان يكره الخلاف، ولذلك كان محمد بن سيرين التابعى يكذب كل ما نسب لعلى من الأقوال التى فيها حطٌ من مقام الشيخين أبى بكر وعمر رضي الله عنهما كما روى ذلك البخارى فى صحيحه .

ولما وُلِّيَ عمر رضي الله عنه بايعه كذلك وزوَّجه بنته أم كلثوم ، وكثيراً ما كان عمر يستخلفه على المدينة إذا غاب عنها .

ولما بويع عثمان رضي الله عنه بايعه كذلك ، حتى كان آخر خلافته وقام عليه الثوار وشنعوا عليه بتولية أقاربه كان على رضي الله عنه كثيراً ما يمحض له النُّصح ، ويرشده إلى ما فيه النجاح والفلاح .

فلما حل القضاء المبرم واستشهد عثمان أقبل عليه المسلمون ، وبايعوه بالخلافة لخمس بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، فقام بها رضي الله عنه ما يقارب خمس سنين ، لم يَصْفُ له فيها يوم ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وصفه :

كان على رضي الله عنه آدم شديد الأدمة ، ثقيل العينين عظيمهما ، ذا بطن، أصلع ، عظيم اللحية ، كثير شعر الصدر ، هو إلى القصر أقرب، وكان ضخم عضلة الذراع ، دقيق مستدقها ، ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها ، وكان من أحسن الناس وجها ولا يغير شيبه ،

كثير التبسم .

أولاده :

له من الأولاد غير من ذكرناهم : « العباس ، وجعفر ، وعبد الله، وعثمان ، وعبيد الله ، وأبو بكر ، ومحمد الأصغر ، ويحى ، وعمر، ورقية ، ومحمد الأوسط ، ومحمد الأكبر الشهير بابن الحنفية ، وأم الحسن ، ورملة الكبرى ، وأم كلثوم الصغرى ، وأم هاني ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الصغرى ، وفاطمة ، وأمامة خديجة ، وأمُّ الكرام ، وأم سلمة ، وأم جعفر وجُمانة ونفيسة» من أمهات شتى وأعقب من هؤلاء الحسنان ، ومحمد الأكبر، وعباس ، وعمر .

لتعود هذه الأمة إخوانا :

كان مما جاء عند العلامة الخضرى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب لما دبت الفتنة وطالب من طالب بدم عثمان وبلغه وهو بالمدينة مسير عائشة وقد عبى جيشه إلى الشام ، دعا وجوه أهل المدينة ، وقال لهم : « إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوَّله ، فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم » هذا أول ما قاله ثم تجرى الأحداث وينتدب معه ناس ، ونقل آخرون ، فخرج من المدينة وهو يرجو أن يلحق الزبير وطلحة قبل أن يصلا البصرة ، واستخلف على المدينة سهل ابن حنيف فلما صول الربذة أتاه خبر سبقهم ، فأقام بها وأرسل محمد ابن أبى بكر ومحمد بن جعفر يستنفران الناس ، وكتب معهم كتابًا إلى

أهل الكوفة هذه صورته :

« إنى اخترتكم على الأمصار ، وفزعت إليكم لما حدث ، فكونوا لدين الله أنصارًا وأعوانًا ، وانهضوا إلينا ، فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانًا » [١٨] .

رحمة الله عليك يا خير الناس يا إمام الخير والتقى يخرج من يخرج لقتالك وأنت لا تبغى إلا المؤاخاه والإصلاح وتأمل فى توحيد شمل الأمة رغم كل من خرج عليك فيا ليتنا نتعلم بياض السريرة ونقاء الصدور والمؤاخاة والمحاباة لكل المسلمين اللهم آمين .

رابعا عند العلامة السيوطى :

على بن أبى طالب رضي الله عنه - واسمُ أبى طالب - عبد مناف - بن عبد المطلب - واسمه شيبة - بن هاشم - واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصى واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة ، أبو الحسن ، وأبو تراب ، كناه بها النبى ﷺ وأمه فاطمة بنت أسد بن هشام ، وهى أول هاشمية ولدت هاشميا ، قد أسلمت وهاجرت .

وعلى - رضي الله عنه الله أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة ، وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين رضي الله عنها وأحد السابقين إلى الإسلام وأحد العلماء الربانيين ، والشجعان المشهورين

(١٨) إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء : ٢٥٦ - ٢٦٤ .

والزهاد المذكورين ، والخطباء المعروفين ، وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله ﷺ ، وعرض عليه أبو الأسود الدؤلى ، وأبو السبطين أسلم قديمًا ، بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسى وجماعة أنه أول من أسلم ، ونقل بعضهم الإجماع عليه .

وأخرج أبو يعلى عن على رضي الله عنه قال: بُعِثَ رسول الله ﷺ يوم الاثنين وأسلمتُ يوم الثلاثاء ، وكان عمره حين أسلم عشر سنين، وقيل: تسع ، وقيل : ثمان ، وقيل : دون ذلك ، قال الحسن بن زيد ابن الحسن : ولم يعبد الأوثان قطُّ لصغره ، أخرجه ابن سعد ، ولما هاجر ﷺ إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أياما حتى يؤدى عنه أمانة الودائع والوصايا التى كانت عند النبى ﷺ ، ثم يلحقه بأهله ، ففعل ذلك ، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد، إلا تبوك فإن النبى ﷺ استخلفه على المدينة وله فى جميع المشاهد آثار مشهورة، وأعطاه النبى ﷺ اللواء فى مواطن كثيرة ، وقال سعيد بن المسيب : أصابت عليا يوم أحد ستٌّ عشرة ضربة ، وثبت فى الصحيحين « أنه ﷺ أعطاه الراية فى يوم خيبر ، وأخبر أن الفتح يكون على يديه » وأحواله في الشجاعة وآثاره فى الحروب مشهورة .

وكان على شيخا ، سمينا ، أصلح ، كثير الشعر ، رَبْعَةَ إلى القِصرِ ، عظيم البطن ، عظيم اللحية جدًا ، قد ملأت ما بين منكبيه بيضاء كأنها قُطْن آدم شديد الأُدْمَةِ .

وقال جابر بن عبد الله : حمل على الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ، وإنهم جَرُّوه بعد ذلك ، فلم يحمله إلا أربعون رجلا . أخرجه ابن عساكر .

وأخرج ابن إسحاق فى المغازى وابن عساكر عن أبى رافع أن عليًا تناول بابًا عند الحصن - حصن خيبر - فتترس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله علينا ثم ألقاه ، فلقد رأيتُنا ثمانية نفر نجهد أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه .

وروى البخارى فى الأدب عند سهل بن سعد قال : إن كان أحب أسماء على رضي الله عنه إليه « أبا تراب » وإن كان ليفرح أن يُدْعى به ، وما سماهُ أبا تراب إلا النبى ﷺ وذلك أنه غاضَبَ يوم فاطمة ، فخرج ، فاضطجع إلى الجدار فى المسجد ، فجاءه النبى ﷺ ، وقد امتلأ ظهره ترابًا ، فجعل النبى ﷺ يمسح التراب عن ظهره ويقول : «اجلس أبا تراب» .

وروى له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وستة وثمانون حديثا(١٩) .

خامسا عند ابن الجوزى :

اسمحوا لى أن أنقل لكم مع التعريف مقدمة قالها ابن الجوزى لما فيها من حسن التعبير وبلاغة الأسلوب عسى أن يستخدمها الدعاة على

(١٩) (١٩) تاريخ الخلفاء للسيوطى : ١٦٩ - ١٧٠ .

المنابر وينعم بها أهل الفكر الأكابر .

« الحمد لله الذى أصبحت له الوجوه ذليلة عانيه وحذرته النفوس مجدة ومتوانية وعظ فذم الدنيا الحقيرة الفانية ، وشوق إلى الجنة قطوفها دانية وخوف عطاش الهوى أن يسقوا من عين آنية ، أحمده على تقديم شأنيه وأستعينه من شر شانئ وشانية (٢٠) وأحصل بتحقيق التوحيد إيمانية، وأصلى على رسوله محمد صلاة ممهدة لعزة بانية ، وعلى صاحبه أبى بكر الصديق السابق فى الوفاق والاتفاق وفنى الدار والغربة فى الغار ، أربع للفخر بانية ، وله فضيلة التخلل والتقلل والرأفة والخلافة ، وصارت ثمانية ، وعلى عمر مقيم السياسة على كل نفس حانية ، وعلى عثمان الذى اختاره الرسول بعد ابنته للثانية ، وعلى علىّ المنزل فيه ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً ﴾ (٢١) وعلى عمه العباس المستسقى بشيبته فإذا أسباب الغيث والغوث دانية) .

قال أحمد : وحدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبى حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال: فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها .

فقال : أين على بن أبى طالب ؟ ، فقيل : هو يا رسول الله

---

(٢٠)شنا: أبغض وتجنب. (٢١) البقرة : ٢٧٤.

يشتكى عينيه قال فأرسلوا إليه ، فأتى به فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية ، فقال على : يا رسول الله ﷺ أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟

فقال: « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم » .

لترمى صنما :

اعلم أن عليًا رضي الله عنه لا يزاحم فى قرب ونسب وقد أقر الكل بعلمه وفضله .

وبعث رسول الله ﷺ وهو ابن سبع سنين فتبعه ولم يزل معه يكشف الكروب عن وجهه ، وصعد على منكب رسول الله ﷺ فرمى صنما .

أخبرنا هبة الله بن محمد ، أنبأنا الحسن بن على أخبرنا أحمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنى أبى ، حدثنا أسباط ، حدثنا نعيم بن حكيم ، عن أبى مريم ، عن على بن أبى طالب قال :

(انطلقت أنا والنبى ﷺ حتى أتينا الكعبة فقال لى : اجلس وصعد على منكبى فذهبت لأنهض فلم أقدر فرأى منى ضعفًا فنزل وجلس إلى نبى الله ﷺ وقال : اصعد على منكبى ، فصعدت على منكبه . قال: فنهض بى قال : فإنه يخيل إلى أنى لو شئت لنلت أفق السماء ، حتى

صعدت على البيت وعليه تمثال صُفر أو نحاس ، فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه ، حتى إذا استمكنت منه قال لى رسول الله ﷺ : اقذف به . فقذفت به فكسر كما تنكسر القوارير «المصنوعة من الزجاج » ثم نزلت ، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس .

يا صفراء يا بيضاء غرى غيرى :

وكان الخلق يحتاجون إلى علم علىّ حتى قال عمر رضي الله عنه آه من معضلة ليس لها أبو حسن [٢٢] .

فلما ولى لم يتغير عن الزهد فى الدنيا وكان أحمد بن حنبل يقول: إن عليا ما زانته الخلافة ولكن هو زانها .

ما زانه الملك إذ حواه ... بل كل شىء به يُزانُ

جرى ففات الملوك سبقا ... فليس قُدَّامه عِنَانُ

نالت يداه ذُرى معال ... يعجز عن مثلها العِيانُ

أخبرنا محمد بن أبى منصور ، أخبرنا جعفر بن أحمد ، أخبرنا الحسن بن على، أنبأنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنى أبى ، حدثنا وهيب بن إسماعيل ، حدثنا محمد بن قيس ، عن على بن ربيعة ، عن على بن أبى طالب أنه جاءه ابن النباح فقال: يا

---

(٢٢) أى معضلة شديدة فإذا لم يكن على لها فمن يكون لها .

أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء .

قال : الله أكبر. قال : فقام متوكئًا على ابن النباح حتى قام على بيت المال فقال :

هذا جناى وخياره فيه وكل جان كدُه إلى فيه

فأعطى جميع ما فى بيت المال للمسلمين وهو يقول : يا صفراء يا بيضاء غُرِّى غيرى حتى ما بقى فيه دينار ولا درهم ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى ، أنبأنا الجوهري ، انبأنا ابن حيويه ، حدثنا أحمد بن معروف ، حدثنا الحسين بن الفهم ، حدثنا محمد بن سعد ، أنبأنا الفضل بن دكين حدثنا الحر بن جرموز ، عن أبيه قال:

رأيت عليا وعليه قطريتان [٢٣] إذار إلى نصف الساق ورداء مشمر، ومعه درة يمشى بها فى الأسواق يأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول: أوفوا الكيل والميزان .

هـذا الإمام :

وقيل فى الإمام على ﷺ :

كان يظن فى الكرم بحرًا ويحسب لفظه للحسن سحرًا ، إذا أنشأ فصلا رأيته يقول فصلا وإذا أصل أصلى [٢٤] لم يستطع أحد مثله أصلا ،

(٢٣) القطرية ثوب خشن ينسب إلي بلدة قطر.

(٢٤) إذا ضرب أوجع .

كان يقول فى صفة نفسه :

إذا المشكلات تصدين لـى كشفـت حقائـقها بالـنظـر
وإن رقيت فى محل الصواب عميـاء لا يجليهـا البصـر
مقنعـة بغيـوب الأمـور وضعـت عليهـا صحيح الفكـر
لسان كشقشقة الأرحبى(٢٥) أو كلسان الحسـام الذكـر (٢٦)

بادر الفضائل فكان فى الأوائل ، وخاض بحر الشجاعة فلم يرضى بساحل ، وحاز العلوم فحار لجوابه السائل ، ولازم السهر ليسمع «هل من سائل » وزهد فى الدنيا لأنها أيام قلائل .

القائد الخيـل ترغيهـا شكائعهـا والمعطم البزل بالديمومة القاع(٢٧)
ما بات إلا على هـم ولا اغتمضـت عيناه إلا على عزم وإزمـاع
خطيـب مجمعـة تغلـى شقاشقـه إذا رموه بأبصار وأسمـاع
يذوق بالعين طعم النوم مضمضة(٢٨) إذا الجبان ملاعينًا بتهجـاع

سبحان من جمع له المناقب والفضائل ، بحر من البراعة ونجم من الشجاعة ثاقب (٢٩) .

---

(٢٥) الأرحبى : البعير والشقشقة ما يخرجه البعير من فمه إذا هام.

(٢٦) الحسام الذكر : السيف القاطع .

(٢٧) ترغيها : أى تجعلها تصوت ، والشكائع : أشواك يملأ بها البعير فمه . والبزل : النوق التى طلعت أنيابها، والديمومة : الصحراء الواسعة ، والقاع : الأرض السهلة .

(٢٨) أى لم يشبع من النوم .

(٢٩) التبصرة لابن الجوزى : ١/ ٥٢٢ ـ ٥٢٨ .

وأخيراً : عند أبى نعيم :

يقول أبو نعيم :

على بن أبى طالب ﷺ سيد القوم ، محب المشهود ، ومحبوب المعبود باب مدينة العلم والعلوم ورأس المخاطبات ، ومستنبط الإشارات راية المهتدين ، ونور المطيعين ، وولى المتقين ، وإمام العادلين ، أقدمهم إجابة وإيمانا ، وأقومهم فضية وإيقانا ، وأعظمهم حلما وأوفدهم علمًا ، على بن أبى طالب كرم الله وجهه. قدوة المتقين وزينة العارفين ، المنبئ عن حقائق التوحيد، المشير إلى لوامع علم التفريد ، صاحب القلب العقول، واللسان السؤول ، والأذن الواعى ، والعهد الوافى، فقاء عيون الفتن ، ووقى من فنون المحن ، فرفع الناكثين ، ووضع القاسطين ودمغ المارقين ، الأخبشن فى دين الله .

تربية المدرسة المحمدية :

كان رضوان الله عليه وسلامه : على الأوراد مواظبًا ، وللازواد مناحبًا وقد قيل : إن التصوف الرغبة إلى المحبوب ، فى درك المطلوب. حدثنا أبو بكر بن خلاد ثـنا أحمد بن إبراهيم عن ملحان ثنا يحى بن بكير حدثنى الليث بن سعد عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد ابن كعب القرظى عن شبث بن ربعى عن على بن أبى طالب عليه السلام ، أنه قال:

---

(٤٠) حلية الأولياء لأبى نعيم ١/ ٦١ ـ ٧٠ .

قدم على رسول الله ﷺ بسبى فقال على لفاطمة إئتى أباك فسليه خادما تقى به العمل ، فأتت أباها حين أمست فقال لها: مالك يابنية قالت لاشىء جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأل شيئا فلما رجعت قال لها على ما فعلت ؟ قالت لم أسأله شيئًا واستحييت منه حتى إذا كانت الليلة القابلة قال لها ائتى أباك فسليه خادما تتقين به العمل فأتت أباها فاستحيت أن تسأله شيئا حتى إذا كانت الليلة الثالثة مساء خرجنا جميعا حتى أتينا رسول الله ﷺ . فقال : ما أتى بكما فقال على : يارسول الله شق علينا العمل فأردنا أن تعطينا خادما نتقى به العمل. فقال لها رسول الله ﷺ : هل أدلكما على خير لكما من حمر النعم. قال على : يا رسول الله نعم ! ، قال : تكبيرات وتسبيحات وتحميدات مائة حين تريدا أن تناما فتبيتا على ألف حسنة ، ومثلها حين تصبحان فتقومان على ألف حسنه . فقال على : فما فاتنى منذ سمعتها من رسول الله ﷺ إلا ليلة صفين ، فإنى نسيتها حتى ذكرتها فى آخر الليل فقلتها.

حدثنا محمد بن جعفر بن الهيثم ثنا محمد بن أحمد بن أبى العوام ثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن على قال:

أتانا رسول الله ﷺ حتى وضع رجليه بينى وبين فاطمة فعلمنا ما نقول إذا أخذنا مضاجعنا : ثلاثا وثلاثين تسبيحة ، وثلاثا وثلاثين تحميده ، وأربعا وثلاثين تكبيرة ، قال على : فما تركتها بعد فقال له

رجل : ولا ليلة صفين ؟ قال ولا ليلة صفين.

حدثنا أبو على محمد بن أحمد بن الحسن ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا العباس بن الوليد ثنا عبد الواحد بن زياد ثنا الجريرى عن أبى الورد عن ابن أعبد قال قال لى على : يا ابن أعبد هل تدرى ما حق الطعام؟ قال: وما حقه يا ابن أبى طالب قال تقول : بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا ثم قال أتدرى ما شكره إذا فرغت قلت وما شكره ؟ قال تقول الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا . ثم قال ألا أخبرك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت أكرم أهله عليه وكانت زوجتى فجرت بالرحى حتى أثر الرحى بيدها وأشقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمت البيت حتى اعبرت ثيابها ، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها ، فأصابها من ذلك ضر فقدم على رسول الله ﷺ سبى - أو خدم - فقلت لها انطلقى إلى رسول الله ﷺ فسليه خادما يقيك ضرما أنت فيه فذكر نحو حديث شبث بن ربعى عن على .



الفصل الثاني

تعطير الأنام من كلام الإمام

الفصل الثاني
تعطير الأنام من كلام الإمام

إن الإمام على ﷺ كان أبلغ الناس ، وأحسنهم حديثا والدروس المستفادة من حياته لا تحصى ولا تعد ، فهيا بنا جميعًا ننعم بكلماته العظيمة وأسلوبه البليغ ، ومنهجه الراقى ونرجو من الله الحصول على جزء من مائة جزء من علمه الذاخر .

ضياع أمه !

سيسأل الكثير من الناس لما البدأ بهذا العنوان القوى !

والإجابة أن هناك حديثا قرأته للإمام على بن أبى طالب ﷺ وعندما قرأته أردت أن أضعه فى صدارة هذا الكتاب ولكنى اكتفيت أن أضعه فى صدارة هذا الفصل وأرجو أن تعلموا أنه ليس هناك حديث يقوم الأمة ويرد لها هيبتها كهذا الحديث الرائع ، ولكنى أرجو من المولى عز وجل أن تدققوا فى كل كلمة من كلمات هذا الحديث .

يقول الإمام على بن أبى طالب أمير المؤمنين ﷺ : إنما وهنت يوم قتل عثمان.

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك ، قال : أنبأنا أبو الفتح أحمد بن الحداد ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن على بن إبراهيم بن منجويه أن الحاكم أبا أحمد محمد بن أحمد بن إسحق الحافظ ، أخبرهم قال : أخبرنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث ، قال : حدثنا الحسين بن

عرفة، قال : حدثنا عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة ، عن مجالد بن سعيد ، عن عمير بن زودى ، قال : سمعت عليا ﷺ يقول:

(هل تدرون إنما مثلى ومثلكم وقتل عثمان ، كمثل ثلاثة أثوار كن فى أجمة : ثور أبيض ، وثور أسود ، وثور أحمر ، ومعهم فيها أسد، فكان الأسد لا يقدر منها على شيء لاجتماعهم عليه، فقال للثور الأسود والثور الأحمر : إنه لا يدل علينا فى أجمتنا هذه إلا الثور الأبيض فإنه مشهور اللون ، فلو تركتمانى فأكلته ، وصفت لى ولكما الأجمة وعشنا فيها ، فقالا : دونك وما تريد ، فأكله ثم لبث غير كثير، فقال للثور الأحمر ، إنه لا يدل علينا فى أجمتنا هذه إلا الثور الأسود فإنه مشهور اللون ، وإن لونى ولونك لا يشتهران ، فلو تركتنى لأكله صفت لى ولك الأجمة وعشنا فيها ، فقال له دونك ، فأكله ثم لبث غير كثير فقال للثور الأحمر: إنى آكلك قال: دعنى حتى أنادى ثلاثة أصوات، قال: ناد، فقال: ألا إنى أكلت يوم أكل الثور الأبيض، ألا إنى أكلت يوم أكل الثور الأبيض ، ألا إنى أكلت يوم أكل الثور الأبيض ، قال: يقول على ﷺ ألا وإنما وإنى وهنت يوم قتل عثمان ﷺ) [1].

بالطبع من خلال هذا الحديث علمنا جميعًا كيف ضاعت الأمة الإسلامية وكيف صارت مطمعًا للدول الأخرى ، ضاعت الأمة الإسلامية عندما تفرقت ، عندما حل فيها الضياع وعدم الترابط فالترابط

(١) المنتظم لابن الجوزى : ١٢٣٨/٣ .

قوة، ولننسى جميعًا أن القوة بالسلاح فالأسد كان يملك السلاح، نابه ومخلبه ولكن السلاح الأقوى كان مع الثيران ، وهو الترابط والتلاحم والأخوة فهيا بنا جميعًا نترابط أسريا ثم نترابط اجتماعيا ثم نترابط دوليا، وهنا سنكون قوة ضاربة ، لن يقف أمامها أى قوة فى العالم حتى ولو كانت هذه القوة تمتلك النووى كما يقولون .

القلوب أوعية

عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد قال : أخذ على بن أبى طالب بيدى فأخرجنى إلى ناحية الجبان ، فلمَا أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال :

يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها ، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة ، فعالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع اتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال. العلم يزكو علي العمل والمال تنقصه النفقة . ومحبة العالم دين يدان بها العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته ، وجميل الأحدوثة بعد موته، وضيعة المال تزول بزواله . مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون م بقى الدهر . أعيانهم مفقودة . وأمثالهم فى القلوب موجودة ، هاه ، إن ههنا ـ وأشار بيده إلى صدره ـ علما لو أصبت له حملة ، بلى أصبته لقنًا غير مأمون عليه. يستعمل آله الدين للدنيا، يستطير بحجج الله على كتابه ، وبنعمه على عباده . أو منقادًا لأهل الحق لا بصيرة له فى إحيائه ، يقتدح الشك فى قلبه بأول عاض

من شبهة، لاذا ولا ذاك أو مفهوم باللذات ، سلس القياد للشهوات . أو مغرى بجمع الأموال والادخار ، وليسا من دعاة الدين . أقرب شبهًا بهما الأنعام السائمة . كذلك يموت العلم بموت حامليه . اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، أولئك هم الأقلون عددا ، الأعظمون عند الله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ، ويزرعوها فى قلوب أشباههم . هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون . صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى أولئك خلفاء الله فى بلاده ، ودعاته إلى دينه . هاه هاه شوقا إلي رؤيتهم ، وأستغفر الله لى ولك إذا شئت فقم [٢] .

وهناك أبيات شعرية لا تدل على كل ما قيل هنا ولكنها تدل على جزء واحد وهو محاباة العلم وكراهة الجهل وأصحابه وهذه الأبيات هى:

فلا تصحب أخا الجهل ... وإيـــــاك وإيـــــــاه
فكم من جاهل أرْدَى ... حليمـــــًا حـين آخـاه
يقاس المـرء بالمـــرء ... إذ مـا هــو مـاشـــاه
وللشىء من الشـىء ... مقاييـــس وأشبـــــاه
قياس النعل بالنعــل ... إذا ما هو حـــــاذاه
وللقلب على القلب ... دليـــل حين يلقـــــاه

(٢) حلية الأولياء لأبى نعيم : ١/٧٩ ـ ٨٠ .

هذا الشعر للإمام على بن أبى طالب ﷺ (٣) .

إنما الوالى بشر

أخرج الدينورى ، وابن عساكر عن معاجر العامرى قال: كتب على ابن أبى طالب ﷺ عهدًا لبعض أصحابه على بلد فيه :

« أما بعد ! فلا تُطَوِّلَنَّ حِجَابَكَ على رعيتك ، فإن احتجاب الولاةِ عن الرعية شعبةٌ من الضيق ، وقلة علم من الأمور ، والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ويقبح الحسنُ ، ويحسْنُ القبيحُ ، ويشاب الحق بالباطل ، وإنما الوالى شرٌ لا يعرف ما توارى (٤) عنه الناس به من الأمور وليست على القول سمات (٥) يعرف بها صروف الصدق من الكذب فيحصن من الإدخال فى حقوق بلين الحجاب ، فإنما أنت أحد رجلين :

إما امرؤ سخت نفسك بالبذل فى الحق فتقيم احتجابك من حق تعطيه أو خلق كريم تسديه .

وإما مبتلى بالمنع ، فما أسرع كف الناس عنك وعن مساءلتك إذا يئسوا عن ذلك مع أن أكثر حاجات الناس إليك لا مؤنة فيه عليك من مشكاة مظلمة أو طلب إنصاف . فانتفع بما وصفت واقتصر على حظك ورشدك إن شاء الله ! (٦) .

كلمات وجيزة ومعانى عظيمة

فى كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطى : كتب العلامة السيوطى تحت

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٨٢ .

(٤) توارى : استتر واختفى .

(٥) سمات : جمع سمة وهى العلامة .

(٦) حياة الصحابة ٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥ .

عنوان فصل فى نبذ من كلماته الوجيزة والمختصرة البديعة ما سننقله إليكم بالحرف إن شاء الله عسى الله أن ينفعنا بهذه الكلمات الوجيزة.

* قال على ﷺ : الحزم سوء الظن أخرجه أبو الشيخ وابن حبان.

* وقال : القريب من قربته المودة وإن بعد نسبه ، والبعيد من باعدته العداوة وإن قرب نسبه ، ولاشيء أقرب من يد إلى جسد ، وإن اليد إذا فسدت قطعت ، وإذا قطعت حُسِمت ، أخرجه أبو نعيم .

* وقال خمس خذوهن عنى : لا يخافن أحد منكم إلا ذنبه ولا يرجو إلا ربه ، ولا يستحيى من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحيى من لا يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم ، وإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد : إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان ، وإذا ذهبت الرأس ذهب الجسد .

أخرجه سعيد بن منصور فى سننه .

* وقال : الفقيه كل الفقيه من لم يُقَنط الناس من رحمة الله ولم يُرَخِّصْ لهم فى معاصى الله ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، لأن لا خير فى عبادة لا علم فيها ، ولا علمٍ لا فهم معه ، ولا قراءة لا تدبر فيها ، أخرجه ابن الضريس فى فضائل القرآن .

* وقال : وأبردها على كبدى إذا سُئِلت عما لا علم أن أقول : الله أعلم . أخرجه ابن عساكر .

* وقال : من أراد أن ينصف الناس من نفسه فليحب لهم ما يحب لنفسه . أخرجه ابن عساكر .

* وقال : سبع من الشيطان : شدة الغضب ، وشدة العطس وشدة التثاؤب ، والقئ ، والرعاف ، والنجوى ، والنوم عند الذكر .

* وقال: كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ المعدة . أخرجه الحاكم فى التاريخ .

* وقال : يأتى على الناس زمان المؤمنُ فيه أذلُّ من الأمَةِ . أخرجه سعيد بن منصور [(٧)] .

الزود من العمل

يقول الإمام على بن أبى طالب ﷺ :

(رحم الله امرأ سمع حُكمًا فوعى ، ودُعى إلى رشادٍ فدنا ، وأخذ بحجزة [(٨)] هادٍ فنجا . راقب ربه ، وخاف ذنبه ، قدَّم خالصًا وعَمِلَ صالحًا . اكتسب مذخورا ، واجتنب محذورًا . رمى غرضًا [(٩)] وأحرز عوضًا [(١٠)] ، كابر هواه ، وكذَّب مناه .

جعل الصبر مطية نجاته ، والتقوى عُدَّةَ وفاته . ركب الطريقة الغراء، لَزِمَ المحجة البيضاء . اغتنم المهَل وبادر الأجل . وتزود من

---

(٧) جميع ما نقل تحت هذا العنوان « كلمات وجيزة ومعانى عظيمة » من كتاب تاريخ الخلفاء: ١٨٤ ـ ١٨٥ .

(٨) الحجزة : معقِد الإزار ، وأخذ فلان ، بحجزة إذا اعتصم به ولجأ إليه .

(٩) الغرض : ما يرمى بالسهام ، يقول : رحم الله ، امرأ رمى غرضاً ، أى قصد الحق كمن يرمى يقصده ، لا من يرمى فى عمياء لا يقصد شيئا بعينه .

(١٠) العوض المحرز هاهنا : هو الثواب .

العمل[١١] .

يموت من جاء أجله

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس ﷺ قال: قال عمر لعلى ﷺ عظنى يا أبا الحسن !

قال: لا تجعل يقينك شكا ولا علمك جهلاً ولا ظنك حقا ، واعلم أنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت وقسمت فسويت ولبست فأبليت .

قال : صدقت يا أبا الحسن .

وأخرج البيهقي عن على بن أبى طالب ﷺ أنه قال لعمر ﷺ يا أمير المؤمنين إن سَرَّكَ أن تلحق بصاحبيك فأقصر الأمل وكل دون الشبع وأقصر الإزار وارقع القميص واخصف النعل تلحق بهما [١٢] .

نعم هذه هى الحقيقة ليس لنا من الدنيا إلا ما أكلنا وشربنا ولبسنا ودون ذلك يترك عند الموت ، الموت هو الحقيقة الوحيدة الصادقة التى نحاول أن نتناساها ولكن هل ينسانا الموت ؟

الكل ميت رغم أنفه فهذا ما كتبه الله علينا ﴿ **إنك ميت وإنهم لميتون** ﴾ ولكن أين من ينتبه فيعمل لذلك اليوم ، واقرءوا معى ما قاله الإمام علي بن أبى طالب ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ :

غـر جهولاً أملـه   يموت من جاء أجله

---

(١١) شرح نهج البلاغة : ٦/ ١٧٢.

(١٢) حياة الصحابة : ٢/ ٢٨٢ .

ومن دنا [١٣] من حتفه لم تغن عنه حيله

وما بقاء آخر قد غاب عنه أولُه

والمرء لا يصحبهُ فى القبر إلا عمله

وقال أبو العتاهية :

لا تأمن الموت فى لحظٍ ولا نفس وإن تمنعت بالحجاب والحرس

واعلم بأن سهام الموتِ قاصدة لكل مُدرعٍ منها ومُترسِ

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

وأنشد بعض أهل الأدب ما ذكر أنه لعلى ﷺ :

ولو أنا إذا مُتنا تركنا لكان الموتُ راحة كل حى

ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعد ذا عن كل شىء

وقال بعض الشعراء :

من كان يعلم أن الموت مدركه والقبر مسكنه والبعث مخرجُهُ

وأنه بين جنات ستبهجه يوم القيامة أو نارٍ ستنضجهُ

فكل شىء سوى التقوى به سمِج وما أقام عليه منه أسمجهُ

ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنًا لم يدرِ أن المنايا سوف تزعجه

وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله :

نسير إلى الآجال في كل ساعة وأيامنا تطوى وهن رواحل

---

(١٣) دنا : اقترب .

ولم نـر مثـل المـوت حقًا كأنه إذا مـا تخطتـه الأمانـى باطـل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا فكيف به والشيبُ فى الرأس نازل
ترحل عن الدنيا بزادٍ من التقي فعمـــرك أيـام تُعـــد قلائـــل

ولما مات الأسكندر قال بعض الحكماء : كان الملك أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس . فأخذ أبو العتاهية هذا المعني فقال:

كفي حزنا بدفنك ثـم أنـــى نفضتُ تـراب قبركَ عن يديـا
وكانت فى حياتك لى عظاتٌ وأنت اليوم أوعظ منك حيا (١٤)

فليتعظ كل من كان له قلب وليعمل الجميع لهذا اليوم الذى سبقنا إليه بعض الأهل والأحباب والأصدقاء والله أعلم على من تدور الدائرة فلنستعد قبل أن يأخذنا الموت فنصير فى حضرة لا يوجد معنا بها أى زاد، والعاقل من استعد وتجهز بزاده لهذا اليوم .

برحمته ترحمون

حدثنا أبو محمد بن حبان ثنا عبد الله بن محمد بن زكريا ثنا سلمة ابن شبيب ثنا سهل بن عاصم ثنا عبده ثنا إبراهيم بن مجاشع عن عمرو ابن عبد الله عن أبي محمد اليمانى عن بكر بن خليفة قال قال على بن أبى طالب :

(أيها الناس إنكم والله لو حننتم حنين الوله العجال، ودعوتم دعاء الحمام ، وجأرتم جؤار متبتلى الرهبان ، ثم خرجتم إلى الله من

(١٤) جميع ما ذكر من أبيات شعرية فى كتاب أدب الدنيا والدين : ١٢٦ ـ ١٣١ .

الأموال والأولاد التماس القربة إليه فى ارتفاع درجة عنده ، أو غفران سيئة أحصاها كتبته ، لكان قليلاً فيما أرجو لكم من جزيل ثوابه ، وأتخوف عليكم من أليم عقابه فبالله بالله لو سالت عيونكم رهبة منه، ورغبة إليه ، ثم عمرتم فى الدنيا ـ ما الدنيا باقية ـ ولو لم تبقوا شيئًا من جهدكم لأنعمه العظام عليكم ، بهدايته إياكم للإسلام ، ما كنتم تستحقون به ـ الدهر ما الدهر قائم بأعمالكم ـ جنته ، ولكن برحمته ترحمون ، وإلى جنته يصير منكم المقسطون ، جعلنا الله وإياكم من التائبين العابدين) (١٥) .

فى هذا الحديث يرشدنا الإمام إلى أهمية الزهد فى الدنيا والاقتراب من المولى عز وجل ، ولكنى أرى بعض الناس يفهم الزهد فهمًا خاطئا لذا سأسوق إليكم ما قاله العلامة ابن قدامة :

اعلم : أن الزهد فى الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين ، والزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشىء إلى ما هو خير منه ، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبا فيه بوجه من الوجوه ، فمن رغب عن شىء ليس مرغوبًا فيه ولا مطلوبًا فى نفسه ، لم يسمى زاهدا ، كمن ترك التراب لا يسمى زاهدًا . وقد جرت العادة بتخصيص اسم الزاهد بمن ترك الدنيا ، ومن زهد فى كل شىء سوى الله تعالى ، فهو الزاهد الكامل ، ومن زهد فى الدنيا مع رغبته في الجنة ونعيمها فهو

---

(١٥) حلية الأولياء لأبى نعيم : ١/ ٧٧.

أيضا زاهد، ولكنه دون الأول .

واعلم : أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والقوة واستمالة القلوب ، وإنما الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة .

وقال النبى ﷺ : « من أصبح وهمه الدنيا ، شتت الله عليه أمره، وفرق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخره ، جمع الله له همه ، وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة ».

وقال الحسن : يحشر الناس عراة ما خلا أهل الزهد ، وقال : إن أقوامًا أكرموا الدنيا فصلبتهم على الخشب ، فأهينوها ، فأهنأ ما تكون إذا أهنتمونا .

وقال الفضيل : جعل الشر كل فى بيت ، وجعل مفاتحه حب الدنيا، وجعل الخير كله فى بيت ، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا .

وكان بعض السلف الصالح يقول الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن ، والرغبة فيها تكثر الهم والحزن .

واعلم : أن مثل من ترك الدنيا ، مثل من منعه عن باب الملك كلب على بابه فألقى إليه لقمة من خبز فشغله بذلك ودخل ، فقرب من الملك، أفتراه يرى لنفسه يدًا عند الملك بلقمة ألقاها إلى كلبه فى مقابلة ما قد ناله؟

فالشيطان كلب فى باب الله عز وجل ، ويمنع الناس من الدخول، مع أن الباب مفتوح ، والحجاب مرفوع ، والدنيا كلقمة فمن تركها لينال عز الملك ، فكيف يلتفت إليها ؟ ثم إن نسبتها ، أعنى ما سلم لكل شخص منها ولو عمّر ألف سنة بالإضافة إلى نعيم الأخرة ، أقل من لقمة بالإضافة إلي ملك الدنيا لأن الفانى لا نسبة له إلى الباقى ، كيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا منكدرة ؟! (١٦) .

ركب المعزى

بعد أن تحدثنا عن الزهد وترك الدنيا والإقبال على الآخرة يجب علينا أن نسوق هذه الأحاديث عن الإمام على ﷺ والتى تبينا كيف أن الصحابة رضوان الله عليهم قد وضعوا ركب المعزى أمام أعينهم وصاروا على طريق الهدى لم يحيدوا ولم يخالفوا حتى أتتهم المنية.

جاء فى الحلية :

حدثنا محمد بن جعفر وعلى بن أحمد ، قالا : ثنا إسحاق بن إبراهيم ثنا محمد بن يزيد أبو هشام ثنا المحاربى عن مالك بن مغول عن رجل من جعفي عن السدى عن أبى أراكة قال:

صلى على ﷺ الغداة ثم لبث فى مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كأن عليه كآبة ، ثم قال :

---

(١٦) مختصر منهاج القاصدين : ٣٢٤ ـ ٣٢٦.

لقد رأيت أثرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحدًا يشبههم، والله إن كانوا ليصبحون شعثا غبرا صفرا بين أعينهم مثل ركب المعزى ، قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم ، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة فى يوم ريح ، فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين.

*** وأيضــا :**

حدثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو يحى الرازى ثنا هناد ثنا ابن فضيل عن ليث عن الحسن عن على. قال:

طوبى لكل عبد نؤمه ، عرف الناس ولم يعرفه الناس، عرفه الله برضوان. أولئك مصابيح الهدى يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة ، سيدخلهم الله فى رحمة منه ، ليس أولئك بالمذاييع البذر (١٧) ولا الجفاة المرائين .

*** وأيضا :**

حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال كتب إلى أحمد بن إبراهيم ابن هشام الدمشقى ثنا أبو صفوان القاسم بن يزيد بن عوانة عن ابن حرث عن ابن عجلان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده . أن عليا

---

(١٧) المذاييع البذر : الذين يفشون الإسرار .

شيع جنازة فلما وضعت فى لحدها عج أهلها وبكوا . فقال : ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم. وإن له فيهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحدًا .

ثم قام فقال:

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى ضرب لكم الأمثال ، ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعًا تعى ما عناها وأبصار لتجلوا عن غشاها ، وأفئدة تفهم ما دهاها فى تركيب صورها وما أعمرها فإن الله لم يخلقكم عبثا ، ولم يضرب عنكم الذكر صفحا ، بل أكرمكم بالنعم السوابغ ، وأرفدكم بأوفر الروافد ، وأحاط بكم الأحصاء ، وأرصد لكم الجزاء في السراء والضراء فاتقوا الله عباد الله وجدوا فى الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات وهاذم اللذات . فإن الدنيا لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجائعها غرور حائل وشبح فائل، وسناد مائل يمضى مستطرفا ويردى مستردفا ، باتعاب شهواتها ، وختل تراضعها ، اتعظوا عباد الله بالعبر واعتبروا بالآيات ، والأثر وازدجروا بالنذر ، وانتفعوا بالمواعظ . فكان قد علقتكم مخالب المنية ، وضمكم بيت التراب ، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور ، وبعثرة القبور ، وسياقة المحشر ، وموقف الحساب ، بإحاطة قدرة الجبار . كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها وشاهد يشهد عليها بعملها « وأشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم

لا يظلمون » فارتجت لذلك اليوم البلاد ، ونادى المناد ، وكان يوم التلاق ، وكشف عن ساق وكسفت الشمس ، وحشرت الوحوش ، مكان مواطن الحشر ، وبدت الأسرار ، وهلكت الأشرار ، وارتجت الأفئدة . فنزلت بأهل النار من الله سطوة مجيحة وعقوبة منيحة، وبرزت الجحيم لها كلب ولجب ، وقصيف رعد ، وتغيظ ووعيد تأجج جحيمها وغلا حميمها ، وتوقد سمومها . فلا ينفس خالدها ، ولا تنقطع حسراتها ، ولا يقصم كبولها . معهم ملائكة يبشرونهم بمنزل من حميم وتصلية جحيم . عبد الله محجوبون ، ولأوليائه مفارقون ، وإلى النار منطلقون . عباد الله اتقوا الله تقية من كنع فخنع ، ووجل فرجل، وحذر فأبصر فازدجر . فاحتث طلبا ، ونجا هربًا، وقدم للمعاد، واستظهر بالزاد وكفى بالله منتقما وبصيرا ، وكفى بالكتاب خصمًا وحجيجا ، وكفى بالجنة ثوابا وكفى بالنار وبالا وعقابا . واستغفر الله لى ولكم (١٨) .

إنما الطاعة في المعروف

لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، هذه حقيقة يجب أن يعلمها الجميع ، وأن يُقر بها أهل العمل والعامة ، حتي وإن كان هذا المخلوق عالم، أو فقيه ، أو صاحب سلطة ، فالطاعة المطلقة لا تكون إلا لله، أما الطاعة لأى فرد تكون مقيده ، فإن كانت على أصل من الشرعية

(١٨) حلية الأولياء لأبى نعيم : ١/٧٦ ـ ٧٩ .

فهى طاعة لازمة وإلا فلا ، ولنقرأ سويا هذه الأحاديث التى تبرهن على صحة هذا الرأى .

* حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على قال :

بعث رسول الله ﷺ سرية ، واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار قال: فلما خرجو ، قال : وجد عليهم فى شئ فقال : قال لهم : أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعونى ؟، قال: قالوا : بلى ، قال : فقال: اجمعوا حطبا ، ثم دعا بنار فأضرمها فيه ، ثم فقال : عزمت عليكم لتدخلنها! قال: فهم القوم القوم أن يدخلوها، قال: فقال شاب منهم: إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار ، فلا تعجلوا حتى تلقوا النبى ﷺ ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها ، قال : فرجعوا إلى النبى ﷺ فأخبروه فقال لهم : لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدًا. إنما الطاعة فى المعروف (١٩) .

* **وأيضـا :**

حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن زبيد الإيامى عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن عن على :

أن رسول الله ﷺ بعث جيشا وأمر عليهم رجلاً ، فأوقد نارًا فقال أدخلوها ! فأراد ناس أن يدخلوها ، وقال آخرون ، إنما فررنا منها ،

(١٩) جامع المسانيد والسنن : ١٨/٢٠ ـ ١٩ حديث رقم [٤٢٥].

فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها : لو دخلتموها لم تزالوا إلى يوم القيامة ، وقال للآخرين قولا حسنا، وقال: لا طاعة فى معصية الله ، إنما الطاعة فى المعروف (٢٠) .

* وأيضـا :

حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على قال :

بعث النبى ﷺ سرية وأمر عليهم رجلاً من الأنصار ، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، قال: فأغضبوه فى شىء ، فقال : اجمعوا لى حطبًا ، فجمعوا حطبًا ، ثم قال : أوقدوا نارًا ، فأوقدوا له نارًا فقال : ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لى وتطيعوا ؟ .

قالوا : بلى ، قال : فادخلوها ! قال: فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من أجل النار ، فكانوا كذلك إذ سكن غضبه وطفئت النار ، قال: فلما قدموا على النبى ﷺ ذكروا ذلك له ، فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة فى المعروف (٢١) .

هذه أحاديث سهلة ولا تحتاج إلى تفسير قدر ما تحتاج إلى تطبيق فى واقعنا المعاصر .

---

(٢٠) جامع المسانيد والسنن : ٢٠ ١٩ حديث [رقم ٤٢٦].

(٢١) جامع المسانيد والسنن ١٩/٢٠ ـ ٢٠ حديث رقم [٤٢٧].

الحمد لله

حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا على بن صالح عن أبى إسحاق عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن على قال:

قال لى رسول الله ﷺ : ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر لك مع أنه مغفور لك ؟ لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلى العظيم سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين (٢٢) .

نؤدى النصيحة

حدثنا يزيد حدثنا حماد بن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن يسار - أن عمرو بن حريث عاد الحسن بن على، فقال له على :

أتعود الحسن وفى نفسك ما فيها ؟ ، فقال له عمرو : إنك لست بربى فتصرف قلبى حيث شئت !

قال على: أما إن ذلك لا يمنعنا أن نؤدى النصيحة ، سمعت رسول الله ﷺ : ما من مسلم عاد أخاه إلا ابتعث الله له سبعين ألف ملك يصلون عليه من أى ساعات النهار كان حتى يمسى، ومن أى ساعات الليل كان حتى يصبح ، قال له عمرو : كيف تقول فى المشى فى الجنازة بين يديها أو خلفها ؟

---

(٢٢) جامع المسانيد والسنن : ٢٠/٥٣.

(٢٣) جامع المسانيد والسنن : ٢٠/٧٨ .

فقال على : إن فضل المشى من خلفها على بين يديها كفضل صلاة المكتوبة فى جماعة على الوحدة ، قال عمرو: فإننى رأيت أبا بكر وعمر يمشيان أمام الجنازة ؟ قال على : إنهما إنما كرها أن يحرجا الناس».

دعاء الوتر

حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن هشام بن عمرو عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن على :

أن النبى ﷺ كان يقول فى آخر وتره : « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » (٢٤) .

الدعاء في الصلاة

حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد العزيز ، يعنى ابن عبد الله بن أبى سلمة ، عن عمه الماجشون بن أبى سلمة عن الأعرج عن عبيد الله ابن أبى رافع عن على ابن أبى طالب :

أن النبى ﷺ كان إذا استفتح الصلاة يكبر ثم يقول: «وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، اللهم أنت الملك ، لا إله إلا أنت ، أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى، فاغفر لى ذنوبى جميعًا ، لا يغفر

---

(٢٤) جامع المسانيد والسنن : ٩٧/٢٠ .

الذنوب إلا أنت ، اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق ، لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها ، لا يصرف عنى سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك والخير كله فى يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك ، وإذا ركع قال : اللهم لك ركعت وبك آمنت ، ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصرى وفمى وعظامى وعصبى، وإذا رفع رأسه قال: سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، ملء السماوات والأرض وما بينهما ، وملء ما شئت من شىء بعد، وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت وبك آمنت ، ولك أسلمت، سجد وجهى للذى خلقه وصوره فأحسن صوره ، فشق سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وإذا فرغ من الصلاة وسلم قال : اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت، وما أنت أعلم بـه منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت .

[قال أبو جعفر القطيعى] : حدثنا عبد الله « يعنى ابن أحمد بن حنبل » : قال: بلغنا عن إسحق بن راهويه عن النضر بن شميل أنه قال فى الحديث : والشر ليس إليك : قال : « لا يتقرب بالشر إليك» (٢٥).

الصلاة الوسطى

يشغل الحديث عن الصلاة الوسطى معظم الدعاة وكذلك الناس لذا

(٢٥) جامع المسانيد والسنن : ٢٠ / ١٢٣ ـ ١٢٤ .

فعندما قرأت عددًا من الأحاديث عن الصلاة الوسطى رأيت أن أنقلها لكم عسى أن يكون بها شفاءا لما فى صدور الدعاة والناس وكذا ردًا على كل أسئلتهم واستفساراتهم .

الحديث الأول : حدثنا محمد بن أبي عدى عن سعيد عن قتادة عن أبى حسان عن عبيدة عن على :

أن النبى ﷺ قال يوم الأحزاب : « **ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا كما شغلونا عن الصلاة حتى أبت الشمس** » .

الحديث الثانى : حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن أبى حسان الأعرج عن عبيدة السلمان عن على :

أن النبى ﷺ قال يوم الأحزاب : « **اللهم املأ بيوتهم وقبورهم نارًا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى آبت الشمس** » .

الحديث الثالث : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت قتادة عن أبى حسان الأعرج عن عبيدة عن على قال:

قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : « **شغلونا عن صلاة الوسطى حتى آبت الشمس ، ملأ الله قبورهم نارًا وبيوتهم ، أو بطونهم** » شك شعبة فى البيوت والبطون .

الحديث الرابع : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سعيد عن قتادة عن أبى حسان الأعرج عن عبيدة عن على بن أبى طالب :

أن رسول الله ﷺ قال يوم الأحزاب : « **اللهم املأ بيوتهم وقبورهم نارًا ، كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى آبت الشمس** » .

الحديث الخامس : حدثنا بهز حدثنا همام عن قتادة عن أبى حسان عن عبيدة قال: كنا نرى أن صلاة الوسطى صلاة الصبح ، قال : فحدثنا على أنهم يوم الأحزاب اقتتلوا وحبسونا عن صلاة العصر، فقال النبى ﷺ : « **اللهم املأ قبورهم نارًا ، أو املأ بطونهم نارًا كما حبسونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر** » .

الحديث السادس : حدثنا عفان حدثنا همام أنبأنا قتادة عن أبى حسان عن عبيدة السلمان عن على:

أن رسول الله ﷺ قال يوم الأحزاب : « املأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا كما حبسونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » أو قال : حتى آبت الشمس أحدى الكلمتين (٢٦) .

اتقي الله يا فاطمة

حدثنا يحى بن خلف ، حدثنا عبد الأعلى ، عن سعيد - يعنى الجريرى - عن أبى الورد ، عن ابن أعبد ، قال: قال لى على ﷺ :

ألا أحدثك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكانت من أحب أهله إليه؟، قلت: بلى .

قال : إنها جرت بالرحى حتى أثر فى يدها ، واستقت بالقربة حتى

(٢٦) جميع أحاديث الصلاة الوسطى فى جامع المسانيد والسنن : ٢٠/ ١٣٦ - ١٣٧.

أثر فى نحرها، وكست البيت حتى أغبرت ثيابها ، فأتى النبى ﷺ خدم، فقلت: لو أتيت أباك فسألتيه خادمًا ، فأتته فوجدت عنده حداثا، فرجعت ، فأتاها فى الغد فقال « ما كان حاجتك؟» فسكتت ، فقلت : أنا أحدثك يا رسول الله جرت بالرحى حتى أثرت فى يدها وحملت بالقربة حتى أثرت فى نحرها ، فلما أن جاءك الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادمًا يقيها حرما هى فيه .

قال: « اتقى الله يا فاطمة ، وأدى فريضة ربك ، واعملى عمل أهلك فإذا أخذت مضجعك فسبحى ثلاثا وثلاثين وأحمدى ثلاثا وثلاثين وكبرى أربعًا وثلاثين فتلك مائة ، فهى خيرى لك من خادم».

قالت: رضيت عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ (٢٧) .

ما يضحكك

من أجمل ما قرأت هذين الحديثين ولنقرأهما سويا ، ولننعم بما جاء فيهما من أخبار تُسعد قلب المؤمن وتطمئن روح المسلم.

الحديث الأول :

حدثنا يزيد أنبأنا شريك بن عبد الله عن أبى إسحاق عن على بن ربيعة قال: رأيت عليًا أتى بداية ليركبها ، فلما وضع رجله فى الركاب قال: باسم الله ، فلما استوى عليها قال: الحمد لله، سبحان الذى سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، ثم حمد

---

(٢٧) جامع المسانيد والسنن : ٢٠/ ١٥٤ ـ ١٥٥.

الله ثلاثا ، وكبر ثلاثا ، ثم قال : سبحانك لا إله إلا أنت ، قد ظلمت نفسى فاغفر لى ، ثم ضحك ، فقال : مم ضحكت يا أمير المؤمنين : قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلتُ ، ثم ضحك، فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : يعجب الربُّ من عبده إذا قال رب اغفر لى ، ويقول : علم عبدى أنه لا يغفر الذنوب غيرى.

الحديث الثانى :

حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن على بن ربيعة قال: كنتُ رِدْفَ على ، فلما وضع رجله فى الركاب قال: بسم الله ، فلما استوى قال: الحمد لله ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، وقال أبو سعيد مولى بنى هاشم : ثم حمد الله ثلاثا ، والله أكبر ثلاثا ، ثم قال: سبحان الله ثلاثا ، ثم قال : لا إله إلا أنت ، ثم رجع إلى حديث وكيع: سبحانك إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ثم ضحك قلت : ما يُضحكك ؟ قال: كنت ردفا لرسول الله ﷺ ففعل كالذى رأيتنى فعلتُّ ، ثم ضحك قلت: يا رسول الله ، ما يضحكك ؟ قال: قال الله تبارك وتعالى عَجَبٌ لعبدى ، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيرى [٢٨] .

بل أنتم اليوم خير

هذا الحديث هو أخر حديث فى هذا الفصل ورأيت أن أختم به لما

(٢٨) هذا الحديث والحديث السابق فى جامع المسانيد والسنن : ٢٠/١٥٨ ـ ١٥٩ .

فيه من معانى سامية ، فهو يبين لنا كيف أن الدنيا وخيرها فى العبادة والطاعة لا فى أكل والشرب فكل ذلك متعة لحظة فانية إما الطاعة فهى متعة لحظتها لأهل الإخلاص وكذلك متعه ما بعد اللحظة إلى قيام الساعة عندهم.

وحتى لا أطيل عليكم فلنقرأ سويا الحديث ولكن أرجو أن نقرأه.

* حدثنا عبيد الله بن عمر ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى، عن أبى إسحاق ، عن يزيد بن رومان القرظى ، عن رجل سماه ونسيته.

عن على بن أبى طالب ، قال : خرجت فى غداة شاتية جائعا وقد أوبقن البرد ، فأخذت ثوبا من صوف قد كان عندنا ، ثم أدخلته فى عنقى وحزمته على صدرى استدفئ به ، والله ما فى بيتى شىء آكل منه، ولو كان فى بيت النبى ﷺ شىء لبلغنى ، فخرجت فى بعض نواحى المدينة فانطلقت إلى يهودى فى حائطه ، فاطلعت عليه فى ثغرة جداره ، فقال : مالك يا أعرابى ؟ هل لك من دلو بتمره ؛ قلت: نعم افتح لى الحائط ، ففتح لى فدخلت ، فجعلت أنزع الدلو ويعطينى تمرة حتى ملأت كفى. قلت : حسبى منك الآن . فأكلتهن ثم جرعت من الماء، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست إليه فى المسجد وهو مع عصابة من أصحابه فطلع علينا مصعب بن عمير فى بردة له مرقوعة بفروة، وكان أنعم غلام بمكة وأرفهه عيشا ، فلما رآه النبى ﷺ ذكر ما كان فيه من النعيم ، ورأى حاله التى هو عليها فذرفت عيناه ، فبكى ،

ثم قال رسول الله ﷺ : « أنتم اليوم خير أم إذا غدى على أحدكم بحفنه من خبز ولحم ، وريح عليه بأخرى ، وغدا فى حلة وراح في أخرى ، وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة »؟ قلنا: بل نحن يومئذ خير نتفرغ للعبادة.

قال: « بل أنتم اليوم خير » (٢٩) .

وهذا الحديث عبر عنه محمود الوراق قائلا :

لا تتبـــع الدنيـــا وأيامهـــا ذما وإن دارت بك الدائرة

فمن شرف الدنيا ومن فضلها أن بها تُستدركُ الأخــــره

أراد رسول الله ﷺ أن يعلم صحابته الأجلاء أن الدنيا ما هى إلا معبر طريق وأعظم وأحلى ما فيها ما هم عليه من الذكر لا أكل اللحم ولبس الملابس الفاخره ، ولا مانع من أن يجتمع الاثنين ولكن الذكر والإقبال على الله والمسارعة فى الخير والكد فى العمل من أجل الله وفى الله ولله هى أولويات المسلم التى يعبر بها إلى الجنة إلى النعيم الخالد الدائم غير المشوب .

وأختم هذا الفصل بهذه الأبيات العظيمة :

تمتع من الأيام إن كنت حازمًا فإنك منها بين ناهٍ وآمــرِ

إذا أبقت الدنيا على المرءِ دينهُ فما فإنه منها فليس بصائرِ

(٢٩) جامع المسانيد والسنن : ٢٠/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

فلن تعدل الدنيا جناح بعوضةٍ ولا وزن ذر من جناحٍ لطائرِ

فما رضى الدنيا ثوابا لمؤمــنٍ ولا رضى الدنيا جزاء لكافر

* * *

الفصل الثالث
مسك الختام من سيرة الإمام

الفصل الثالث

مسك الختام من سيرة الإمام

تمتلأ سيرة الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه بالمشاهد العظيمة وسوف نسوق إليكم إن شاء الله بعضا منها كختام لهذا الكتاب المتواضع والتى أرجو من المولى عز وجل أن تكون مسك الختام .

هؤلاء طلقوا الدنيا

لقد طلق أبو بكر الصديق رضي الله عنه الدنيا تأسيا بحبيبه محمد ﷺ وكذا طلقها عمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم جميعا ، وعندما طلقوها لم ينعوا لها هما وفازوا بالجنة ، فمن منا يستطيع أن يطلق الدنيا كهؤلاء العمالقة إن صاح أحدنا وقال أنا !

أقول له لنقرأ سويا زهد الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه فإن استطعنا السير علي نهجه فلربما نلحق بهذا الركب العظيم .

وزهد الإمام عبارة عن مجموعة من القصص أوردها الإمام أبو نعيم فى الحلية وأسوقها لكم إن شاء الله عسانا نسير على النهج .

يقول صاحب كتاب الحلية :

* عن مجمع التيمى . قال : كان على يكنس بيت المال ويصلى فيه، يتخذه مسجدًا رجاء أن يشهد له يوم القيامة .

* عن أبى عمرو بن العلاء عن أبيه : إن على بن أبى طالب خطب

الناس فقال : والله الذى لا إله إلا هو ما رزأت من فيئكم إلا هذه وأخرج قارورة من كم قميصه . فقال: أهداها إلى مولاى مولاى دهقان.

* عن عبد الله بن شريك عن جده عن على بن أبى طالب : أنه أتى بفالوذج فوضع قدامه بين يديه . فقال : إنك طيب الريح ، حسن اللون ، طيب الطعم لكن أكره أن أعود نفسى ما لم تعتده .

* عن زياد بن مليح : أن عليا أتى بشىء من خبيص فوضعه بين أيديهم وجعلوا يأكلون . فقال على: إن الإسلام ليس ينكر ضال ولكن قريش رأت هذا فتناجزت عليه .

* حدثنا الحسن بن على الوراق ثنا محمد بن أحمد بن عيسى ثنا عمرو بن تميم ثنا أبو نعيم ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، قال سمعت عبد الملك بن عمير يقول حدثنى رجل من ثقيف : أن عليا استعمله على عكبرا قال ولم يكن السواد يسكنه المصلون.

وقال لى : إذا كان عند الظهر فرح إلى فرحت إليه فلم أجد عنده حاجبا يحبسنى عنه دونه ـ فوجدته جالسا وعنده قدح وكوز من ماء فدعا بظبية [1] .

فقلت فى نفس : لقد أمننى حتى يخرج إلى جوهرا ـ ولا أدرى ما فيها ـ فإذا عليها خاتم فكسر الخاتم فإذا فيها سويق فأخرج منها فصب فى القدح فصب عليه ماء فشرب وسقانى فلم أصبر ، فقلت : يا أمير

---

(١) ظبية : جراب صغير أو هى شبه الخريطة أو الكيس .

المؤمنين أتصنع هذا بالعراق وطعام العراق أكثر من ذلك .

قال : « أما والله ! ما أختم عليه بخلا عليه ولكنى أبتاع قدر ما يكفينى فأخاف أن يفنى فيصنع من غيره ، وإنما حفظى لذلك وأكره أن أدخل بطنى إلا طيبا ».

* عن هارون بن عنترة عن أبيه . قال : دخلت على على بن أبى طالب بالخورنق وهو يرعد تحت سمل قطيفة . فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك فى هذا المال وأنت تصنع بنفسك ما تصنع .

فقال : والله ما أرزأكم من ما لكم شيئا وإنها لقطيفتى التى خرجت بها من منزلى أو قال من المدينة .

* عن عثمان بن أبى زرعة عن زيد بن وهب . قال : قدم على على وفد من أهل البصرة فيهم رجل من أهل الخوارج يقال له الجعد بن نعجة فعاتب عليا على لبوسه . فقال على: مالك وللبوس إن لبوسى أبعد من الكبر وأجد أن يقتدى به .

* عن سفيان الثورى عن عمرو بن قيس قال : قيل لعلى : يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك ؟

قال : يخشع القلب ويقتدى به المؤمن .

* عن إسماعيل بن سالم عن أبى سعيد الأزدى ـ وكان إماما من أئمة الأزد ـ قال : رأيت عليا أتى السوق ، وقال: من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم ؛ ، فقال رجل : عندى فجاء به فأعجبه قال لعله

خير من ذلك ، قال : لا ذاك ثمنه . قال فرأيت عليا يقرض رباط الدراهم من ثوبه فأعطاه فلبسه ، فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه ، فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف أصابعه .

* عن على بن الأرقم عن أبيه . قال : رأيت عليا وهو يبيع سيف له فى السوق ، ويقول من يشترى منى هذا السيف ، فوالذى فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ، ولو كان عندى ثمن إذار ما بعته .

* حدثنى زكريا بن يحى الكسائى ثنا ابن فضيل عن الأعمش عن مجمع التيمى عن يزيد بن مخجن قال: كنت مع على وهو بالرحبة فدعى بسيف فسله . فقال : من يشترى سيفى هذا ؟ فوالله لو كان عندى ثمن إزار ما بعته [٢] .

* حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بنى هاشم قالا: حدثنا ابن لهيعة حدثنا عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن زربر أنه قال: دخلت على علىّ بن أبى طالب ، قال حسن : يوم الأضحى ، فقرب إلينا خريرة ، فقلت : أصلحك الله ، لو قربت إلينا من هذا البط يعنى الوز ، فإن الله عز وجل قد أكثر الخير ، فقال : يا ابن زرير إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان ، قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين يدى الناس » [٣] .

---

(٢) جميع ما قبل هذا الخبر من كتاب حلية الأولياء : ١/ ٨١ ـ ٨٣ .

(٣) جامع المسانيد والسنن : ٢٠/ ٤٣ .

أغنى الغنى العقل

أخرج ابن عساكر عن عقبة بن أبى الصهباء قال : لما ضرب ابن ملجم عليًا ﷺ دخل عليه الحسن ﷺ وهو باكٍ فقال له : ما يبكيك يابنى ؟

قال : ومالى لا أبكى وأنت فى أول يوم من الآخر وآخر يوم من الدنيا فقال: يابنى احفظ أربعا أربعا لا يضرك ما عملت معهن ، قال: وماهن يا أبت .

قال : « إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب وأكرم الكرم حسن الخلق » ، قال: قلت : يا أبت! هذه الأربع فأعلمنى الأربع الأخرى .

قال: (وإياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ، ويبعد عليك القريب ، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبعك بالتافه) (٤).

أيها المصحف ! حدث الناس !

سيقول الكثير بعد أن ذكرت زهد هذا الإمام وحكمته ، فلما كان القتال فى عصره ؟

وردًا على هذا السؤال أقول وبالله التوفيق أن هناك أناس كالسوس ينخرون فى عصا الإسلام محاولين إيقاعها ، ولكنهم واهمون هؤلاء

---

(٤) كنز العمال : ٨/ ٢٣٦.

الحمقى يظنون أن الإسلام قائم بأشخاص وفقط ، ولا يعلمون أن الإسلام قائم لأنه الحق .

وحتى لا أطيل لنقرأ هذا الحديث الذى بين فضل الإمام حتى فى فترات القتال .

* حدثنا إسحق بن عيسى الضباع حدثنى يحى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن حثيم عن عبيد الله بن عياض بن عمرو الغارى ، قال: جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها جلوس مرجعه من العراق ليالى قتل على ، فقالت له : يا عبد الله بن شداد ، هل أنت صادقى عما أسألك عنه ؟ تحدثنى عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي ؟ ، قال : وما لى لا أصدقك ! قالت : فحدثنى عن قصتهم ، قال:

فإن عليا لما كتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس ، فزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة ، وإنهم عتبوا عليه فقالوا : انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سماك الله تعالى به ، ثم انطلقت فحكمت فى دين الله ، فلا حكم إلا لله تعالى ، فلما أن بلغ عليًا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه ، فأمر مؤذنًا فأذن . أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن ، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس ، دعا بمصحف إمام عظيم ، فوضعه بين يديه ، فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف ! حدث الناس!

فناداه الناس فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ما تسأل عنه ، إنما هو مداد

فى ورق ! ونحن نتكلم بما روينا منه ! فماذا تريد ؟

قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا ، بينى وبينهم كتاب الله ، يقول الله تعالى فى كتابه فى امرأة ورجل : ﴿ **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكمًا من أهلها . إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما** ﴾ فأمة محمد ﷺ أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل ، ونقموا على أن كاتبت معاوية : كتب على بن أبى طالب ، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشا ، فكتب رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال: : كيف نكتب ؟

فقال : اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ : فاكتب محمد رسول الله ، فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ، فكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشا ، يقول الله تعالى فى كتابه : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ فبعث إليهم على عبد الله بن عباس ، وخرجت معه ، حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس ، فقال : يا حملة القرآن ، إن هذا عبد الله بن عباس ، فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به ، هذا ممن نزل فيه وفى قومه « قوم خصمون» فردوه إلى صاحبه ، ولا تواضعوه كتاب الله ، فم خطباؤهم فقالوا : والله لنواضعنه كتاب الله ، فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه ، وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله ، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب ، فيهم ابن الكواء ، حتي أدخلهم على

على الكوفة ، فبعث على إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ ، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دما حراما أو تقطعوا سبيلا أو تظلموا ذمة ، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائنين ، فقالت له عائشة : يا ابن شداد ، فقد قتلهم ، فقال: والله ما بعث إليهم حتي قطعوا السبيل وسفكوا الدم واستحلوا أهل الذمة ، فقالت : آلله؟ قال: آلله الذى لا إله إلا هو لقد كان ، قالت : فما شىء بلغنى عن أهل الذمة يتحدثونه : ذو الثدى وذو الثدى ؟ قال: قد رأيته وقمت مع على عليه فى القتلى ، فدعا الناس فقال : أتعرفون هذا ، فما أكثر من جاء يقول : قد رأيته فى مسجد بنى فلان يصلى ، ورأيته فى مسجد بنى فلان يصلى ، ولما يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك ، قالت: فما قول على حين قام عليه كما يزعم أهل العراق ؟ قال سمعته يقول صدق الله ورسوله ، قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك ؟

قال : اللهم لا .

قالت : أجل ، صدق الله ورسوله يرحم الله عليا ، إنه كان من كلامه لا يرى شيئًا يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله ، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه فى الحديث [٥] .

بعد قراءة هذا الحديث علمنا من هو على رضي الله عنه وحتى نتعرف عليه أكثر وكيف أنه لم يظلم أحدًا ولم يقاتل على الدنيا فلنقرأ سويا هذا الحديث القادم والذى قيل أمام معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه وبالطبع الكل

(٥) جامع المسانيد والسنن : ٢٠ / ٥٤ ، ٥٧.

يعلم العلاقة بين على ومعاوية ﷺ ، إلا أن معاوية لم يملك إمام هذا الحديث إلا الإقرار والبكاء .

غارت نجومه

حدثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن زكريا الغلابى ثنا العباس عن بكار الضبى ثنا عبد الواحد بن أبى عمرو الأسدى عن محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح قال دخل ضرار بن ضمرة الكنانى على معاوية فقال له : صف لى عليا ! فقال: أو تعفينى يا أمير المؤمنين.

قال: لا أعفيك .

قال: أما إذ لابد فإنه كان والله « بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله غزير العبرة طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما جشب ، كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ، ويجيبنا إذا سألناه ، وكان مع تقربه إليه وقربه منا لا نكلمه هيبة له ، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه يميل فى محرابه قابضا على لحيته ، يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين فكأنى أسمعه الآن ، وهو يقول : ياربنا ياربنا - يتضرع إليه - ثم يقول للدنيا إلى تغررت ، إلىَّ تشوقت، هيهات هيهات، غرى غيرى قد بتتك ثلاثا « أى طلقتك ثلاث طلقات بلا

رجعة»، فعمرك قصير أو مجلس حقير ، وخطرك يسير آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر ، ووحشة الطريق ».

قال : فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو يشفها بكمه ، وقد اختنف القوم بالبكاء .

ثم قال معاوية : رحم الله أبا الحسن ! كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟

قال : حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها (٦) .

رحمك الله كان ﷺ خليقًا بالسيادة ، إن نظرت فى علمه فقد احتاج إليه السادة وإن نظرت فى زهده فلا فراش ولا وسادة :

وحـن إليه الملك عنـد ولاده وصافح كفاه الندى وهو فى المهـد
وأحكمه التجريب كهلا ويافعا ينقله من شأو ومجـد إلى مجـد
تنقل منه رتـبة بعـد رتبـة كما ازداد طول الرمح عقدا على عقد
ولم يرد إلا الكد راحة نفسه ونيل المنى ينسى الفتى تعب الكـد
إذا لاحظ الغايات عادت مريشة مقيدة من ناظـر الأسـد الـورد

كان يشبه القمر الزاهر ، والبحر الزاخر ، والأسد الحادر ، والربيع الباكر أشبه من القمر ضوءه وبهاءه ، ومن الغراب حذره ، ومن الديك سخاءه ، ومن الأسد شجاعته ومضاءه ومن الربيع خصبه وماءه.

(٦) حلية الأولياء ١/ ٨٤ ـ ٨٥ ، والتبصرة ١/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦.

لأ لاؤه ومضــــــــاؤه	وغناؤه فى كل مشهـد
فمتى رأى زللا أقـــال	وإن رأى خللا تغمـد
ويخافه القــوم الــبراء	ولا أخاف ولا تهــدد
لكـــنه لبس المهابـــة	فالفرائص منه ترعـــد
وإذا ارتأى فكمن رأى	وإذا سها فكمن تفقد
وإذا تأمــــل أمـــــره	فهو الشهاب إذا توقد
هذا لعمرك ســـؤدد	لكنــه أيضـا مؤكــد

وأكتفى بهذا القدر وأختم كتابى قائلا ما قاله أبى نعيم :

المحققون بموالاة العترة الطيبة هم الذبل الشفاه المفترشوا الحياة ، الأذلاء فى نفوسهم الفناة ، المفارقون لمؤثرى الدنيا من الطغاة ، هم الذين خلعوا الراحات ، وزهدوا فى لذيذ الشهوات وأنواع الأطعمة ، وألوان الأشربة ، فدرجوا على منهاج المرسلين ، والأولياء من الصديقين ورفضوا الزائل الفانى ، ورغبوا فى الزائد الباقى فى جوار المنعم المفضال ، ومولى الأيادى والنوال .

﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾

❋ ❋ ❋

الفهرس

الفصل الثانى

تعطير الأنام من كلام الإمام